المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام - بالرياض
قسم الدعوة والإحتساب
الدراسات العليا

التدرج في دعوة النبي

(صلى الله عليه وسلم)

(الموضوع - الوسيلة - الأسلوب - المدعو)

رسالة ماجستير

إعداد
المعيد / إبراهيم بن عبدالله المطلق

إشراف فضيلة الدكتور
زيد بن عبدالكريم الزيد
عميد كلية الدعوة والإعلام

١٤١٤ هـ

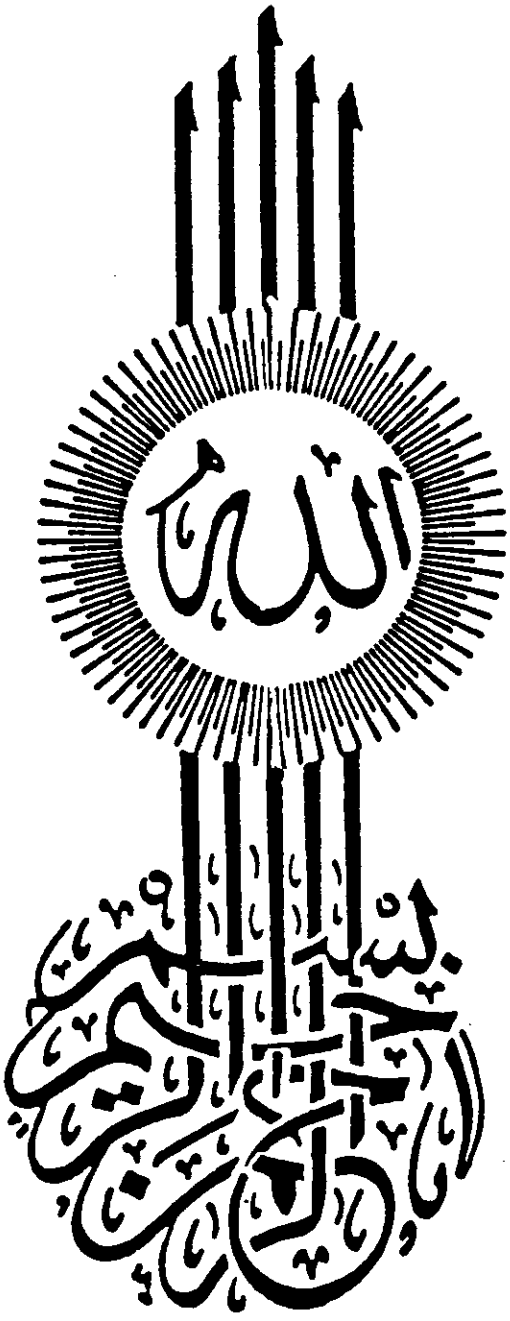
الله
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، الذي بلغ الرسالة، وأدّى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى تركنا على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وعلى آله وصحبه وأتباعه، ومن اهتدى بهديه وتمسك بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى، هي وظيفة الرسل جميعا، ومن أجلها بعثهم الله تعالى إلى الناس فكلّهم بلا استثناء، دعوا أقوامهم ومن أرسلوا إليهم إلى الإيمان بالله، وإفراده بالعبادة على النحو الذي شرعه لهم، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (١).

فرسل الله هم الدعاة، وقد اختارهم الله لحمل دعوته وتبليغها. وقد ختم الله الرسالات بنبينا محمد ﷺ ، الذي بعثه الله داعيا إلى الحق، ورحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا

---

١) سورة النحل، الآية (٣٦)

إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾(١).

فقام ﷺ بمهمة الدعوة على أكمل وجه وأتمه . إذ كان عليه أن يبلغ رسالة ربه كما أمره. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾(٢).

وكان عليه أن يُخرج الناس من ظلمات الجهل والشرك إلى نور العلم والايمان، بإذن الله قال تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾(٣).

وقد بُعث ﷺ في مجتمع جاهلي ، عبد أهله الأصنام والأوثان، وأعرضوا عن عبادة الله وحده، فكان من حكمته ﷺ في الدعوة ، أن قدّم لهم الدينَ الإسلامي ، كما يُقدّم العلاج للمريض، فلم يفاجئهم عليه الصلاة والسلام، بتسفيه أحلامهم، وشتم آلهتهم، بل دعاهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن، متدرجاً معهم في بيان أحكام الله وشرائعه وتطبيقها في واقع الحياة، فكان من نتيجة ذلك أن استجاب الناس لدعوته، فلم تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها، حتى أقر الله عينه بإقبال الناس أفواجاً على هذا الدين، قال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾(٤)

---

١) سورة الأحزاب، الآية (٤٥،٤٦)

٢) سورة المائدة، الآية (٦٧)

٣) سورة ابراهيم، الآية (١)

٤) سورة النصر

أهـــداف البحـــث :

لقد توخيت من خلال كتابة هذا البحث تحقيقَ أمورٍ من أهمّها :

١ - الإسهام في بيان الطريقة الصحيحة والناجحة في الدعوة إلى الله، لتكون نبراساً يضيء للدعاة طريقهم .

٢ - توجيه الدعاة إلى أهمية العناية بالتدرج في الدعوة، وأنه الطريقُ الأمثل في الدعوة.

٣ - توضيح ما يترتب على التفريط بالتدرج في الدعوة، من آثار سلبية ونتائج عكسية.

٤ - بيان أهمية هذا المسلك، في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام.

١) أهمية البحث وأسباب اختياره

تتضح لنا أهمية هذا البحث من خلال النشاط الدعوي في هذا الزمن، لأنه وإن اختلف الزمان ، لم يختلف المدعو وهو الإنسان، فالمدعو إنسان يتأثر بظروف بيئته الخاصة، كظروف أسرته التي يعيش فيها، وما عليه هذه الأسرة من غنى وفقر، وعلم وجهل، وجاه وضعف ونحو ذلك، هذه الظروف تؤثر في شخصية المدعو ونفسيته ونظرته إلى الحياة وكما يتأثر المدعو بظروف بيئته العامة، كظروف العصر الذي يعيش فيه، وما يوجد في هذا العصر من تقدم علمي وتقني، ومن تيارات سياسية، ومن طغيان القوي على الضعيف، وغير ذلك من الأمور .

ولا شك أن النفس البشرية، قد زُين لها حُب الشهوات والملذات، كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾(١).

ولقد بعث النبي ﷺ والبشرية تعيش في دياجير الظلام، فكانت بعثته لإخراجها من الظلمات إلى النور، وعلى ذلك فإن مهمته أن يُمكن الناس من إدراك حقيقة ما جاء به ، والاقتناع بسلامته، ثم اعتناقه بعد ذلك ، والالتزام به مدى الحياة.

ولقد كان لتدرجه ﷺ في الدعوة، الأثر العظيم، وقد ظهر هذا الأثر

---

١) سورة آل عمران، الآية (١٤)

واضحاً في نفوس كثير من المدعوين بقبولهم للحق وسرعة استجابتهم له.

ولا شك أن حال الناس اليوم، في جوانب عديدة، وخصوصاً الانحرافَ الفكريّ والسلوكي، يشبه حالهم وقت بعثته ﷺ ، ولا سبيل لإخراجهم من الظلمات إلى النور، إلا بالدعوة والنشاط الدعوي، الذي تكمن صورته المثلى في منهجه ﷺ في الدعوة.

وإدراكاً لأهمية هذا الموضوع، واحساساً بالحاجة الملحة إلى عرضه بصورة تختلف عما هو موجود فيما كتب، حيث غلب عليه الرصد والاختصار، دون بيان موضوعه ووسيلته وأسلوبه، فقد وجهت نيتي له بإذن الله، بعد القراءة المستفيضة حوله، والاستشارات العلمية، بالإضافة إلى أسباب أخرى من أهمها :

١ - الحاجة الملحة إلى التدرج في الدعوة في هذا العصر.

٢ - عدُم وجود كتابات تفصيلية قديمة أو حديثة عن هذا الموضوع.

٣ - ارتباط البحث بتخصصي العلمي، حيث تخرجت من قسم الدعوة بكلية الدعوة والإعلام.

هذا وأسأل الله العليَ القديرَ، أن يوفقني للإخلاص في النية، والصواب في العمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل.

٢) الاستدلال على مشكلة البحث

إذا كان الإسلام قد واجه في جميع أزمانه منذ مطلع الدعوة إلى اليوم، كثيراً من القوى المعادية له، حتى دخل في معاركَ ضاريةٍ متصلةٍ باللسان مرة، وبالقتال مرة أخرى، فإن ما يواجه الإسلام في العصر الحديث، من القوى المعادية له، أشدُّ ضراوةً وأبلغُ كيداً، مما واجهه من قبل، سواء في كثرة القوى، أم في فعالية الأدوات التي يُحَاربَ الإسلام بها(١).

ففي هذا العصر كثرت التيارات الفكرية بحكم تقدم العلم ومكتشفاته، فقامت تلك المذاهبُ المادية التي تخفف فيها الناس كثيراً من جانب الروح وأعطوا وجودهم كله للجسد(٢).

وهذا يفيد أن هناك تشابهاً كبيراً بين كثير من مجتمعات هذا العصر، وبين المجتمع الجاهلي الذي بعث فيه رسول الله ﷺ ، ويكثر هذا التشابه في الجانب الفكري والسلوكي.

ومما لا شك فيه أنه لا منقذ لهذه المجتمعات، ولا مخرج لها من الظلمات إلى النور، إلاّ بالطريقة السليمة في الدعوة وتكمن هذه الطريقة في حقيقة دعوة النبي ﷺ لقومه.

وبتأملي كتب السيرة النبوية ظهر لي أن النبي ﷺ ، قد تدرج في دعوة

---

١) عبدالكريم الخطيب، الدعوة إلى الإسلام مضامينها وميادينها ص ٦١.

٢) عبدالكريم الخطيب، المرجع السابق ص ٦١

قومه إذ بدأ بالدعوة إلى العقيدة وتوحيد العبادة لله ، ثم لما تقررت العقيدة بدأ نزول التشريع الآلهي، وتبين لي أنه ﷺ تدرج في الوسيلة ، التي من خلالها دعا إلى هذا الدين العظيم.

ولقد كان لأسلوبه عليه الصلاة والسلام ، الأثرُ البالغُ في نفوس تلك الأمة، التي كانت تعيش في ظلمات الجهل والضلال والانحراف الخلقي. ذلك أن النبي ﷺ بعث في أمة جاهلية، سيطرت على قلوب أبنائها الخرافات والضلالة، فعبدوا الأشجار وسجدوا للأحجار(١) ، فاقتضت حكمته ﷺ في الدعوة أن لا يسفه أحلامهم بادىء ذي بدء ويقضي على دين توارثوه عن الآباء والأجداد ، فكان أن تدرج بهم ﷺ في الدعوة ، إذ جعل أساس دعوته التوحيد، ليقتلع الشرك من جذوره(٢).

فلقد شاءت حكمة الله أن تكون قضية العقيدة هي الأولى، التي تتصدى لها الدعوة منذ اليوم الأول للرسالة، وأن يبدأ رسول الله ﷺ بدعوة الناس إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن يمضي في دعوته يعّرف النّاس ، بربهم ومعبودهم الحق دون سواه(٣).

فلما تقررت العقيدة - بعد الجهد الشاق - وتقررت السلطة التي تركن إليها هذه العقيدة ، حين هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، أخذ الوحي ينزل

---

١) عبدالله بن محمد آل موسى، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي ، ص ١٩١

٢) المرجع السابق، ص ١٩١.

٣) علي بن جابر الحربي ، منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية، ص ٢٢٦

بالتشريعات المفصلة ، التي لابد منها لتنظيم حياة المسلمين ومعاملاتهم، ومجتمعهم.

إذن فقد تدرج النبي ﷺ في موضوع الدعوة توحيداً، وشريعة.

ولعل المقام يتطلب ذكر بعض الشواهد التي ظهر فيها تدرجه ﷺ في موضوع الدعوة.

فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: إنّك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أوّلَ ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وإني رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأخبرهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك ، فإيّاك وكرائمَ أموالهم ، واتّق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب(١).

فقد بيّن النبي ﷺ لمعاذ، حال المدعوين، حيث أرشده إلى أنّهم أهل كتاب، فدعوتهم تختلف عن دعوة غيرهم ، فارشده ﷺ ان يتدرج معهم في الدعوة، فيبدأهم بالتوحيد ، ثم يدعوهم إلى لوازم التوحيد(٢).

ولنا شاهد آخر يبين لنا تدرجه ﷺ في الدعوة، ومدى حرصه على البدء

---

١) البخاري، صحيح البخاري ، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، (ك ٣٠ ح ١٣٣١) ٢/٥٠٥

٢) الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، ص ١٢٨

بالتوحيد.

فقد روى جابر رضي الله عنه قال : اشترطت ثقيف على رسول الله ﷺ اذ بايعت أن لا صدقة عليها ولا جهاد ، وإنه سمع رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك، سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا(١).

ولا شك أن دعوة نبينا محمد ﷺ ، هي الدّعوة التي تقدم للدعاة الى الله في كل مكان وزمان، أبرز معالم الدعوة إلى الله، وأهم ما يجب أن يتخلق به الدعاة إلى الله، بل هي الدعوة التي ترسم صورة دقيقة الأبعاد، لطبائع المدعوين، وتحدد ما يلائم هذه الطبائع من وسائلَ و أساليب(٢).

ولقد خاطب الرسول ﷺ بالدعوة، أناساً كثيرين، وجماعاتٍ مختلفةً ، وجماهيرَ متعددةً، كان لكل منها معتقداته و أفكاره وعاداته، من أجل هذا تعددت وسائله ﷺ في الدعوة، لتتلائم مع كلّ مرحلة من مراحلها، ومع كل جمهور من جماهيرها(٣).

فلم يدع رسول الله ﷺ أيّة وسيلة ممكنة في عصره، من غير أن يفيد منها، افادة حكيمة تامة، ويسخرها في تبليغ الدعوة، بما يناسب الزمان والمكان والمدعوين، مراعيا جميعَ الظروف المتعلقة بهم، فكرياً واجتماعيا، وغيرَ ذلك

---

١) محمد ناصر الالباني ، صحيح سنن أبي داوود ،٣/ ٤٢٠.

٢) د. علي عبدالحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله ، ١/ ٥٢

٣) د. محمد يوسف مصطفى ، العلاقات العامة والاعلام في الإسلام، ص ٢٢٥

مما يكفل النجاح في العمل، والتدرج في معارج الكمال، حتى تم له ما يريد(١).

وتحقق قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾(٢).

وكما تدرج ﷺ في الدعوة إلى موضوع الدعوة - الدين الإسلامي - فقد تدرج ﷺ في الوسيلة للدعوة إلى هذا الدين، فحينما كانت دعوته ﷺ مباشرة واتصاله بالجماهير مباشراً، كان وسيلته إذ ذاك القول.

حمل القول في طياته كل الإعجاز، عن التوحيد والتشريع، والتاريخ والحاضر والمستقبل، والإنسان والزمان والمكان، وآفاق الكون وآفاق النفس، وبلاغة المنطق وقوة الأداء، واختيار اللفظ وصوغ العبارة، وقوة الحجة والاقناع، وشدة التأثير(٣) لهذا ولذاك كان القول هو وسيلة الوسائل للدعوة الخاتمة(٤)، لأنه يتعامل مع الإنسان ومع أقوى خصائصه، العقل والإدراك(٥).

وبعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وأسس الدولة الإسلامية، كان ضمن أهدافه، إعلام الرأي العام وإشعاره، بقوة المسلمين، ولم يشأ النبي

---

١) د. محمد عجاج الخطيب، أضواء على الاعلام في صدر الإسلام. ص ١٨-١٩

٢) سورة النصر

٣) أنظر: د. حسن عيسى عبدالظاهر، فصول في الدعوة الإسلامية، ص ٨٧

٤) أنظر: المرجع السابق، ص ٨٧، وانظر: وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية، الموسوعة الفقهية، ٢٠/٣٣٢، ٣٣٣.

٥) د. حسن عيسى عبدالظاهر، فصول في الدعوة الإسلامية، ص ٨٧

ﷺ أن يتخذ وسيلة لتحقيق هذا الهدف من خلال مكاتبات، أو إرسال مبعوثين لإفهام المعارضين أو المحايدين، ان المسلمين صاروا قوة يعتد بها، وإنما وسيلة الإعلام بالقوة هو استعراضها، ولذلك كانت وسيلة النبي ﷺ لتحقيق هذا الهدف تتمثل فيما يمكن أن نطلق عليه بلغة العصر، استعراض القوى العسكرية، كما تفعل الدول حديثاً فنراها تظهر قوتها العسكرية، وتعرضها لحلفائها المؤيدين، طمأنة لهم، كما تبرزها في الوقت ذاته لأعدائها وخصومها، ترهيباً وتخويفاً، وذلك من خلال عروض عسكرية، تحقق هذا الهدف.

ولذلك أرسل الرسول ﷺ السرايا لتحقيق هذا الهدف، كما خرج بنفسه في عدة غزوات لتحقيق الهدف ذاته(١).

وعندما رجع رسول الله ﷺ من صلح الحديبية، واطمأن على الأمن والأمان في الجزيرة العربية، بدأ النبي يدعو البعيدين عنه من سائر الأمم، الذين لا يرون ولا يسمعون قوله، فكتب إلى ملوك الأرض وأرسل اليهم رسله يحملون كتبه، يدعوهم فيها إلى الإسلام(٢).

ولقد أفادت الرسائل كثيراً في تبليغ الدعوة إلى الله، وهي وسيلة صالحة الاستعمال في كل عصر(٣).

فلقد أرسل الرسول ﷺ الدعاة من قِبَله، بما يحملون من رسائل وكتب،

---

١) د. محمد يوسف مصطفى ، العلاقات العامة والاعلام في الإسلام، ص ٣٠٥

٢) د. خليفة عسال ، معالم الدعوة الإسلامية في عهدها المدني ، ص ٣٨٥

٣) المرجع السابق، ص ٣٨٥.

إلى الملوك والأمراء، فمنهم من قبل الإسلام، ومنهم من عارض، ولكن الأغلبية جاؤوا إلى رسول الله ﷺ بعد دخولهم الإسلام، يرسل معهم المبعوثين من الدعاة، يقرئونهم القرآن، ويعلمونهم الإسلام، فرسخ الإسلام في قلوبهم، وتعمق الإيمان في نفوسهم(١).

وإذا كان النبي ﷺ قد تدرج في الدعوة إلى الإسلام، وتدرج في الوسيلة، التي قدم بها الدعوة فإنه عليه الصلاة والسلام، لم يهمل الأسلوب في عرض الدعوة وتبليغ الرسالة.

فلقد كان للأسلوب النبوي العظيم الأثر العظيم، في تبليغ الرسالة، وإستجابة المدعَوين لها.

ولقد حدد القرآن الكريم أسلوب الدعوة إلى الله تعالى، في آيات منها قوله تعالى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾(٢).

وهذا يعني أن نبينا محمداً ﷺ ، قد استوعبت دعوته أروعَ الأساليب وأبلغها، ليكون إيمان الناس قائماً على دِعامة الفطرة، نظراً واستدلالا، ونقلاً وعقلاً، وعلماً وعملاً، وأساس تلك الأساليب وجماعها، أعمدتها الثلاثة، الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

---

١) د. خليفة عسال، معالم الدعوة الإسلامية في عهدها المدني ، ص ٤١٨

٢) سورة النحل، الآية (١٢٥)

فجاءت أساليب الدعوة الإسلامية متنوعه، ومراتبها متدرجه، حسب الظروف والأحوال، وحاجة البشر، لأن في ذلك التنويع والتدرج، أنجح الأدوية لما أصاب الإنسانية من أدواء، وأقوى الأسباب لقبول الدعوة في مثل هذه الأمة الجامحة، فكان ذلك من ضرورات نجاح الدعوة، بل ومن أهم عوامل نجاحها.

ولذلك فلابد من بيان تلك الأساليب، التي سارت عليها الدعوة من أول يوم، لأنه من نعم الله تعالى على دعاة الإسلام، ومن التيسير لهم، أن الدعوة الإسلاميه آخذة بكل أسلوب، حَسَبَ مقتضيات البشر وحال المدعوين، بل ومن نعم الله تعالى على الإنسانيه كلها، أن الدعوة الإسلاميه تسير على تلك الأساليب، التي حددها ورسمها القرآن الكريم، وطبقها الرسول ﷺ .

فمن تلك الأساليب التي تدرج فيها ﷺ في دعوته، أسلوب الشرح والتفسير لأصول الدين، وهو عرض الدعوة وتفسيرها وشرح أصولها(١) بالحكمة تارة وبالترغيب تارة وهو الحث على فعل الخير وأداء الطاعات والاستقامة على أمر الله(٢) وبالترهيب أخرى، وهو تخويف وتحذير، من عواقب عدم الاستجابة إلى الداعي إلى الله، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه، بعد

---

١) د. علي عبدالحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله ، ٢١٧/١

٢) الأستاذ محمد الغزالي، مع الله، ص ٣١٣ .

قبوله(١) وبالمجادلة بالحسنى والرد على الشبه والمفتريات وهو أسلوب جيد في عرض الدعوة(٢) ومنها أسلوب الحماية حيث حماية الدعوة من كل اعتداء عليها، ومنها اسلوب الالزام لأعداء الدعوة بالخضوع والانقياد لها، ومنها اسلوب التأليف بالمال، لتأليف القلوب على الإسلام، أو الثبات فيه.

وبتأملي في سيرته ﷺ ، وطريقته في الدعوة، تبين لي، أن التدرج في دعوته ﷺ ، كان له الأثر البالغ في نفوس المدعوين، وسرعة قبولهم للحق، مما جعلني أشعر بأهمية بيان هذا المسلك، سيما في هذا العصر، الذي كثرت فيه أسباب الفتن والانحراف، وكثر فيه أعداء العقيدة، الذين يتربصون بها، ويكيدون لها ليل نهار. ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾(٣).

---

١) د. عبدالمنعم محمد حسنين، الدعوة إلى الله على بصيره، ص ٢٢٥

٢) د. علي عبدالحليم محمود، فقه الدعوة إلى الله ، ١/٢٢٥

٣) سورة يوسف الآية (٢١).

٣) مكانة البحث من الدراسات الدعوية السابقة

لم أعثر فيما اطلعت عليه من دراسات وأبحاث وكتب على دراسة وافية للتدرج في الدعوة وإن كثرت الإشارة إلى موضوعه من قبل العلماء والدعاة والمهتمين بقضايا الدعوة على وجه العموم.

وفيما يلي عرض لتلك الدراسات والكتب :

١) الأسلوب النبوي في الدعوة

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، بشعبة الدعوة في الجامعة الإسلاميه بالمدينة المنورة، إعداد الطالب الشريف حمدان راجح الهجاري، والرسالة مكونة من مقدمة، وخمسة أبواب، وخاتمة، وفي الباب الخامس، وتحت عنوان التدرج في الدعوة، وفيما لا يزيد على سبع صفحات، بيّن الباحث أن من حكمته ﷺ ، أنه تدرج في الدعوة، فبدأ بأهله ثم بقبيلته ، ونلاحظ أن الباحث في هذا الفصل، لم يرجع إلى مؤلف واحد في القديم والحديث، وإنما وضع تصوراً شخصيا، لايعدو الوصف للفظة التدرج.

٢) الدعوة في عهدها المكي

رسالة مقدمة للمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض، إعداد الطالب ممدوح عبدالعزيز الهياثمي، مقدمه لنيل درجة التخصص «الماجستير» وقد قسم الباحث الرسالة، إلى تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمه، وكتب الباحث في الفصل الثاني من الباب الثاني، وتحت المبحث الأول، الذي جاء بعنوان الحكمة من

أساليب الدعوة، كتب في ثانياً، صيغة التلميحَ والتدرجَ، وبين أن من حكمة الرسول ﷺ التلميح والتدرج، وقد ركز على تدرج الإسلام في معالجة الربا والرق والخمر، وبصورة موجزة جداً، حيث لم تتجاوز هذه المعالجه ثلاث صفحات.

٣) منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب

رسالة مقدمه لشعبة الدعوة في الجامعة الإسلاميه بالمدينة المنورة لنيل درجة الدكتوراه، إعداد الطالب، محمد ولد سيدي ولد حبيب.

وفي الرسالة، بيّن الباحث منهج النبي ﷺ في دعوة أهل الكتاب، وكيفية تدرجه ﷺ في ذلك المنهج، من معاهدة ومصالحة، إلى دعوة باللسان بالحكمة، والموعظة الحسنة، إلى غزو وسبي وقتل، مستدلا على ذلك بالأحاديث الواردة في دعوته ﷺ لأهل الكتاب، ومن ذلك حديث بعث معاذ إلى اليمن، وقد لاحظت أن الباحث لم يفرد فصلاً أو بحثاً بعنوان التدرج، ولكن تناول الموضوع ضمناً من خلال بيان المنهج.

٤) منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكيه

رسالة مقدمه لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة، إعداد الطالب علي بن جابر الحربي، والرسالة مكونة من تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة، وبحكم التقيد بعنوان الرسالة، أورد الباحث الباب الثاني بعنوان أركان الدعوة، وقد قسمه إلى فصلين، ركز في الفصل الأول على تقرير العقيدة والدعوة إليها، وفي الفصل الثاني كتب عن الشريعة والأخلاق.

والحق أن الطالب وفّى هاتين القضيتين، إلا أنه تناولهما بزاوية عقدية تشريعيه بحته، ولم يُضْفِ إليهما الجانبَ الدعوي، هذا بالاضافة إلى أنه لم يتعرض إلى الوسائل والأساليب الدعويه ولعله أيضاً التزم بعنوان بحثه، إذ لم يتجاوز المرحله المكية.

٥) أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي

رسالة مقدمه للمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالرياض، لنيل درجة التخصص «الماجستير» إعداد الطالب عبدالله بن محمد آل موسى .

وقد قسم الباحث الرسالة إلى بابين، وفي الباب الثالث الذي تحت عنوان العوامل الداخلية لنجاح الدعوة، ذكر العامل الثالث، تدرج الدعوة، وفي هذا العامل بين بدأ النبي ﷺ قومه بالدعوة إلى التوحيد، ثم الصدع بالدعوة، وقد قسم هذا العامل إلى قسمين :

أ - أساليب الدعوة : وقد ركز فيه على الحكمه، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن .

ب - مراتب الدعوة : وتحدث فيها عن النبوة، وإنذار العشيرة والأقربين، ثم إنذار قومه، ثم إنذار العرب قاطبه، ثم إنذار جميع من بلغتهم الدعوة.

وفي الباب نفسه في الفصل الثاني، الذي جاء بعنوان القرآن الكريم المعجزة الكبرى للدعوة، وفي العامل الثاني من هذا الفصل، كتب الباحث عن التدرج في الخطاب والتربية والتشريع، حيث كتب في العقائد، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات، وقد لاحظت أن الباحث في كتابته تحت عنوان تدرج

الدعوة اقتصر على أساليب الدعوة، في الحكمة والموعظة الحسنه والمجادلة بالتي هي أحسن .

كما اقتصر في العامل الثاني، من الفصل الثاني، على أسلوب القرآن في التدرج، في الخطاب والتربية والتشريع.

ولم يتطرق الباحث للتدرج في دعوة النبي ﷺ ، في الموضوع والوسيلة والأسلوب إلا ما ذكر.

٦) التدرج بين التشريع والدعوة

بحث صغير كتبه فضيلة الإستاذ الدكتور يوسف محي الدين أبو هلاله، أحد أساتذة كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وقد بين فيه الباحث تعريف التدرج لغة واصطلاحاً كما بين الأمور التي لا يجوز التدرج في الدعوة إليها، وهي العقيدة والأخلاق الأساسية، وكتب في التدرج في الدعوة مالا يزيد عن عشرون صفحة، وكتب ايضاً عن التدرج في التشريع ثمانية عشر صفحة تقريباً.

٧) كتاب الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها

للدكتور رؤوف شلبي، وقد قسم كتابه إلى بابين، وفي الفصل الثاني من الباب الثاني، والذي كتب فيه في التشريع والأخلاق والجماعة الإسلامية، كتب المؤلف في هذا الفصل وتحت نقطة ج ، عن بدء التدرج في الأحكام، الخمر والربا والرق.

ولم يتبين لي أن المؤلف كتب عن التدرج في الدعوة النبويّة.

نتائج الدراسات السابقة

١ - لم تتعرض الدراسات السابقة لكافة مراحل الدعوة، بل اكتفت بمرحلة واحدة، كما هو في الدراسة الأولى.

٢ - ركزت الدراسات السابقة على موضوع الدعوة، دون التعرض للوسائل والأساليب، مكتفية بالاستشهاد بحديث بعث معاذ إلى اليمن، كما في الدراسة الثالثة والدراسة الرابعة .

٣ - اكتفت بعض الدراسات ببيان التدرج في التبليغ، والاستدلال بحديث بعث معاذ إلى اليمن، كما في الدراسة الخامسة.

٤ - اكتفت بعض الدراسات بالاستشهاد على التدرج، في جزئية من موضوع الدعوة، وهي معالجة الخمر والربا والرق ، كما في الدراسة الثانية والثامنة.

٥ - الدراسة السابعة ، اكتفت بالتعريف للفظة الدعوة ، مع الإشارة إلى التدرج في التشريع ، وبيان الأمور التي لا يجوز التدرج فيها.

ما توصلت اليه من نتائج الدراسات السابقة

١ - لم تتعرض الدراسات السابقة للتدرج النبوي في وسيلة الدعوة، وأسلوب الدعوة ، إلا ما اشارت إليه بعض الدراسات، من أن الأسلوب تمثل في الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

٢ - ركزت الدراسات السابقة، على جانب واحد وهو موضوع الدعوة، وقد تناولته جل الدراسات باختصار شديد، ومن جزئية واحدة ، وهي جزئية الشريعة ، دون الجانب الدعوي.

٣ - لم تبين أي من الدراسات السابقة، أهمية التدرج في الدعوة، وضرورته في هذا العصر.

ومن هنا يتبين أن موضوع بحثي جديد، وجدير بالبحث والدراسة، وأسأل الله عزّ وجل ، التوفيق والسداد فهو نعم المسؤول وعليه التُكلان.

٤) تحديد المشكلة البحثية وصياغتها

تبين للباحث من خلال قراءته المستمرة والمركزة، في أهم المصادر والمراجع الرئيسة، التي لها عَلاقة مباشرة بالبحث، وعلى رأسها كتاب الله عزّ وجلّ، وسنة رسوله ﷺ وسيرته العطرة، أن هناك عاملاً كان له الأثر العظيم في نفوس المدعوين، وسرعة استجابتهم للحق في الدعوة النبوية.

ومن هنا يتبين لنا، أن البحث محاولة للكشف عن هذا العامل، وهو التدرج في الدعوة النبوية، في الموضوع والوسيلة والأسلوب ، ومن ثم بيان أهمية هذا العامل للدعوة في العصر الحاضر.

٥) تساؤلات البحث

ونظراً لطبيعة البحث فإن الجهد فيه، سينصب على الأجابة على تساؤلات محددة هي :

- ما معنى التدرج وما حقيقته ؟
- ما مدى أهمية التدرج في الدعوة إلى موضوع الدعوة ؟
- ما مدى أهمية التدرج في الدعوة باعتبار الوسائل ؟
- ما مدى أهمية التدرج في الدعوة باعتبار الأساليب ؟
- ما الحكمة من التدرج في الدعوة ؟

- هل يمكن التأسي بالرسول ﷺ في تدرجه في الدعوة، موضوعاً ووسيلة واسلوباً في عصرنا الحاضر ؟

٦] نـــوع البحـــث ومنهجه :

نستطيع أن نصنف البحث على ضوء ما سبق بأنه بحث وصفي .

المنهج الاستقرائي :

حيث سيقوم الباحث باستقراء وحصر كافة الجزئيات المتعلقة بموضوع التدرج في دعوة النبي ﷺ ، ومن ثمّ فحص تلك الجزئيات، ودراسة ظواهرها، ثم إعطاء حكم بصددها.

المنهج الاستنتاجي :

حيث سيقوم الباحث بتنظيم ما يتوفر لديه من جزئيات ومعلومات تتعلق بصميم بحثه، ثم يستنبط منها النتائج الصحيحة، وهذا العمل سيمكن الباحث مما يلي:

١ - معرفة موضوع التدرج في الدعوة النبوية .

٢ - معرفة التدرج في استخدام الوسائل .

٣ - معرفة التدرج في استخدام الأساليب .

٤ - إظهار مدى فائدة التدرّج في الأسلوب النبوي .

٥ - إفادة المجتمع المعاصر، دعاة ومدعوين، وبيان ضرورة انتهاج هذا المسلك القويم.

٧] حـــدود البحـــث :

الحدود الزمنيـة :

هي فترة دعوة الرسول ﷺ ، منذ أن بعثه الله سبحانه لينقذ البشرية من ظلام الجهالة إلى نور الإيمان، إلى أن صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها .

الحدود الجغرافية :

هي الأمصار التي وصلت إليها دعوته عليه الصلاة والسلام، ابتداء من الجزيرة العربية، وانتهاءاً بالبلاد التي وصلت إليها مكاتباته ورسله.

٨] أدوات جمـــع مـادتـه العلميـــة :

بإذن الله تعالى ، سأعتمد في بحثي هذا على المصادر الإسلامية الأصلية، والمراجـع العلمية الأخرى ، ذات العلاقة بالبحث ، وفي مقدمتها الكتاب والسنة والسيرة النبوية المطهرة، بالإضافة إلى كتب التفاسير، وشروح الحديث، وأصول الفقه ، وكتب الدعوة ، وستكون هذه إن شاء الله، هي الأساس في جمع مادته العلمية.

٩) خطـــة الدراســـة

المقدمة وتشتمل على :

١ - أهمية البحث وأسباب إختياره .

٢ - الإستدلال على مشكلة البحث .

٣ - مكانة البحث من الدراسات الدعوية السابقة .

٤ - تحديد المشكلة البحثية وصياغتها .

٥ - تساؤلات البحث .

٦ - نوع البحث ومنهجه .

٧ - حدود البحث .

٨ - أدوات جمع مادته العلمية .

٩ - التعريف بمصطلحات البحث .

(أ) التدرج .

(ب) دعوة النبي .

(ج) الموضوع .

(د) الأسلوب والوسيلة والفرق بينهما .

(هـ) المدعو .

١٠- أنواع التدرج .

الفصل الأول : التدرج في الدعوة باعتبار الموضوع .

المبحث الأول : التوحيد

المبحث الثاني : الشريعة

الفصل الثاني : التدرج في الدعوة باعتبار الوسيلة

المبحث الأول : القول

المبحث الثاني : السرايا والغزوات

المبحث الثالث : الكتب والرسائل

المبحث الرابع : الوفود والبعوث

الفصل الثالث : التدرج في الدعوة باعتبار الأسلوب

المبحث الأول : أسلوب العرض

المبحث الثاني : أسلوب الحماية

المبحث الثالث : أسلوب الإلزام

المبحث الرابع : أسلوب التأليف

الفصل الرابع : التدرج في الدعوة باعتبار المدعو

المبحث الأول : البدء بالأقربين

المبحث الثاني : التعرف على المدعوين

المبحث الثالث : العناية بذوي المكانة

المبحث الرابع : عرض الدعوة على عموم المدعوين

الفصل الخامس الحكمة من التدرج في الدعوة .

المبحث الأول : تهيئة النفوس للسماع

المبحث الثاني : قبول النفوس للحق

المبحث الثالث : ترسيخ الإسلام في النفوس

الفصل السادس : التدرج في الدعوة في العصر الحاضر

المبحث الأول : التدرج في الدعوة إلى الموضوع

المبحث الثاني : التدرج في الدعوة باعتبار الوسيلة والأسلوب

المبحث الثالث : التدرج في الدعوة باعتبار المدعو

الخاتمة : خلاصة البحث وأهم نتائجه وتوصياته

شكر وتقدير

بادىء ذي بدء أشكر الله عز وجل على ما إمتّن به علي من نعم عظيمة، أجلها نعمة الإسلام، ثم توفيقي لطلب العلم، فأشكره سبحانه شكراً أرجو به دوام هذه النعم، وزيادتها، قال سبحانه : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(١). ثم إمتثالاً لقوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»(٢)

فإني أشكر عظيم الشكر هذا الصرح الشامخ - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ممثلة في كلية الدعوة والاعلام ، حيث تفضلت بقبولي طالباً في الدراسة الجامعية، ثم أتاحت لي الفرصة لمواصلة مرحلة الماجستير وتكرمت علي بقبولي معيداً فيها.

ثم أتقدم بخالص شكري لفضيلة شيخي المشرف على هذه الرسالة فضيلة الدكتور زيد بن عبدالكريم الزيد، الأستاذ المشارك في هذه الكلية وعميدها، فقد تفضل علي بآرائه السديدة، وتوجيهاته الرشيدة، وشرح لي صدره ، وفتح لي بيته ، ومكتبه ، وبذل لي الكثير من وقته طيلة

---

١) سورة ابراهيم، الآية (٧)

٢) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ح ٧٩٢٦، ٢/٢٩٥ ، الالباني، صحيح سنن أبي داود، باب في شكر المعروف (٤٠٢٦/١٢) ٣/٩١٣، الألباني، صحيح سنن الترمذي، باب ماجاء في الشكر لمن أحسن إليك، (١٥٩٢/٣٥) ٢/١٨٥.

عملي بهذه الرسالة، وعاملني بكل تواضع وحسن خلق، فأسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يجمعه بوالديه ومن يحب في الفردوس الأعلى بغير حساب.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل من فضيلة الدكتور عبدالله المطلق، رئيس قسم الدعوة، وفضيلة الدكتور فضل إلهي، وفضيلة الدكتور يوسف أبو هلاله، وفضيلة الدكتور عبدالعزيز اسماعيل، وفضيلة الشيخ زين العابدين الركابي، على مابذلوا لي من نصيحة وتوجيه.

كما أشكر فضيلة مشايخي وزملائي في قسم الدعوة وكل من أسدى إلي معروفاً وساهم معي في إكمال هذه الرسالة.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر القائمين على إدارتي السابقتين، مصلحة الجمارك، ورئاسة البحوث العلمية، على إتاحتهم لي فرصة الدراسة الجامعية والعليا وأنا على رأس العمل، وحثهم وتشجيعهم المتواصل لي على ذلك.

والله أسأل أن يجزي عني الجميع خير الجزاء، وأن يثقل موازينهم ويرفع درجاتهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١. التعريف بمصطلحات البحث

أ) التدرج

التدرج لغة

بالنظر في معاجم اللغة العربية نجد الكلمات

دَرَجَ - درَّج - تدرَّجَ - الدَّراجه

ومعنى ذلك أن اللفظ جاء ماضياً مجرداً، ومزيداً بالتضعيف، وبالتاء، وجاء اسماً، ومع الاختلاف اليسير في معاني الكلمات، إلا أنها تدل على المشي والحركة الهينة، والصعود في المراتب، فقد جاءت كلمة درج، بمعنى المشي والمضي فيه. ففي معجم مقاييس اللغة :

يقال : (درج) الدال والراء والجيم، أصل واحد يدل على مضي الشيء، والمضي في الشيء، من ذلك قولهم درج الشيء، إذا مضى لسبيله.(١).

وفي الصحاح :

يقال : درج الرجل، والعنب يدرج دروجاً ودرجاناً أي مشى(٢).

وجاء في المعجم الوسيط :

درج الصبي : أخذ في الحركة، ومشي قليلاً ، أوّل ما يمشي ودرجت الريح:

---

١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ٢/٢٧٥.

٢) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، ١/٣١٣ .

مرت مراً هيناً(١).

وأما درّج بتشديد الراء، فمعناها التأني في تناول الشيء أو بلوغه، ففي لسان العرب، يقال درجّت العليل تدريجاً، إذا أطعمته شيئاً قليلاً، وذلك إذا نقه، حتى يتدرج الى غاية أكله، كما كان قبل العلة(٢).

ودرّج الطعام ودرّج الأمر فلاناً : حملاه على التدرج فيهما(٣).

والمراد إعطاء المريض الطعام قليلاً قليلاً، وذلك إذا تماثل للشفاء، حتى يعود إلى حاله قبل المرض، ومثله إعطاء المريض الدواء، فإنه يعطى قليلاً قليلاً، وشيئاً فشيئاً حتى يشفى. ويقال : (درّجه) : جعله درجات .

ودرّج فلاناً إلى الشيء : أدناه منه قليلاً قليلاً وعوّده إياه.

وأما (تدرّج) مطاوع درجّه ، ففي المعجم الوسيط و (تدّرج): مطاوع درّجه.

و(تدرّج) إليه : تقدم شيئاً فشيئاً.

وتدرّج الشيء إلى الشيء : أدناه منه على التدرج(٤). فإذا خرجنا من دائرة الفعل ، واتجهنا إلى الاسم وجدنا.

الدرّاجه : بالفتح وهي التي يدرّج عليها الصبي، إذا مشى، حكاه أبو النصر(٥).

---

١) د. ابراهيم أنيس وآخرين ، المعجم الوسيط، ٢٧٧/١.

٢) ابن منظور، لسان العرب، ٩٦٣/١.

٣) د. ابراهيم أنيس وآخرين ، المعجم الوسيط، ٢٧٧/١.

٤) د. ابراهيم أنيس وآخرين ، المعجم الوسيط، ٢٧٧/١.

٥) الجوهري ، الصحاح ، ٣١٤/١.

ودَرَجُ البناء ودُرِّجه ، بالتثقيل ، أي تشديد الراء ، وهي المراتب بعضها فوق بعض.

ففي لسان العرب :

والدَرَجة : المرقاة والجمع الدرج، والدرجه واحدتها الدرجات، وهي الطبقات من المراتب ودرجات الجنة منازل أرفع من منازل(١).

وفي القرآن الكريم : ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾(٢)

وقال تعالى : ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾(٣).

ومما تقدم تتضح لنا العلاقة جلية بين الفعل والاسم، لأن الدراجة يدرج عليها الصبي وصعود البناء يحتاج إلى درج، ومراتب بعضها فوق بعض، وكذلك درجات الجنة، منازل بعضها فوق بعض.

وكلمة (التدرّج) التي نحن بصدد بحثها، تشتمل على المعاني السابقة، التي ذكرناها في الفعل والاسم، وقد نص على ذلك المعجم الوسيط، وقد ذكرنا نقلاً عنه:

وتدرّج مطاوع درّجه، وإليه : تقدم شيئاً فشيئاً، وفيه : تصعد درجة درجة، والشيء إلى الشيء، أدناه منه على التدرج(٤).

---

١) ابن منظور، لسان العرب، ٩٦٢/١.

٢) سورة آل عمران، الآية (١٦٣).

٣) سورة النساء، الآيه (٩٥).

٤) إخراج ابراهيم أنيس وآخرين، المعجم الوسيط ، ٢٧٧/١.

التدرج في الاصطلاح

عرف التدرج أحد أساتذة الدعوة المعاصرين فقال : التدرج (هو الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى متقدمة، للبلوغ إلى الغاية المنشودة، بطرق مشروعة مخصوصة)(١).

ومن خلال معاني التدرج في اللغة، وتعريفه في الاصطلاح، أصلُ إلى تعريف للتدرج هو : (التقدم بالمدعو شيئاً فشيئاً، للبلوغ به إلى غاية ماطلب منه، وَفْقَ طرق مشروعة مخصوصه).

ب) الدعوة

الدعوة لغة

تأتي الدعوة في اللغة لمعان عدة:

منها : إحالة الشيء اليك بصوت وكلام، يكون منك، والدعوة إلى الطعام، والنداء، والحث على قصد الشيء ومن الدعوة جاء اشتقاق الداعية وهو: الذي يدعو إلى دين أو فكرة، والهاء للمبالغة(٢).

والدعاة : قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع(٣).

قال تعالى : مخبراً عن الجن الذين استمعوا القرآن :

---

١) د. يوسف محي الدين أبو هلاله ، التدرج بين التشريع والدعوة،ص ١.

٢) إخراج ابراهيم أنيس وآخرين، المعجم الوسيط ، ٢٨٦/١.

٣) ابن منظور، لسان العرب، ٩٨٧/١.

﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ ﴾(١).

والنبي ﷺ، داعي الله تعالى، وكذلك المؤذن(٢).

قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾(٥).

ونخلص من هذا بأن للدعوة في اللغة معانٍ عديدة، منها إمالة الشيء إليك، بصوت وكلام يكون منك، والدعوة الى الطعام، والنداء والحث على قصد الشيء - كما سبق أن ذكرنا - وهناك معان أخرى، منها التمني والطلب والزعم..

والذي يعنينا من هذه المعاني اللغوية، هو الحث لأن الداعية، يحث المدعوين على الفكرة التي يريدها، والدين الذي يدعو إليه.

الدعوة في الاصطلاح

كلمة الدعوة في الاصطلاح تطلق ويقصد بها معنيان:

---

١) سورة الاحقاف، الآية (٣١).
٢) ابن منظور، لسان العرب، ٩٨٧/١.
٣) سورة الأحزاب، الآية (٤٦).
٤) سورة يوسف، الآية (١٠٨).
٥) سورة النحل، الآية (١٢٥).

(١) الاسلام

(٢) فن نشر الإسلام بين الناس

وقد عرفها بالمعنى الأول علماء ودعاة كثيرون منهم :

أ) شيخ الإسلام بين تيميه(١) - رحمه الله - عرف الدعوة بقوله: (الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الايمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الايمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والايمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه.

وهذا التعريف إشتمل على أركان الإسلام، وأركان الايمان، وركن الإحسان)(٢).

ب) وعرفها أيضاً بالمعنى الأول الأستاذ / محمد الغزالي بقوله: الدعوة هي: (برنامج كامل، يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها النّاس، ليبصروا الغاية من محياهم، ويستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين)(٣).

---

١) أحمد بن عبدالحليم الحراني تقي الدين بن تيمية، ولد سنة ٦٦١، وتوفي ٧٢٨ هـ ، وهو من أشهر علماء الإسلام، وأشهر من أن يعرف به. أنظر: خير الدين الزركلي، قاموس الاعلام ١/١٤٤.

٢) ابن تيمية مجموع الفتاوى/١٥/١٥٧،١٥٨.

٣) الأستاذ محمد الغزالي، مع الله ، ص ١٧.

ج) وعرفها بالمعنى ذاته الدكتور توفيق الواعي بقوله: (الدعوة إلى توحيد الله، والاقرار بالشهادتين، وتنفيذ منهج الله في الأرض، قولاً وعملاً، كما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهّرة، وسنة رسول الله ﷺ - ليكون الدين كله لله)(١).

وبالتأمل في التعاريف الثلاثة الماضية، يتبين لنا أن الدعوة قصد بها الدين الإسلامي، وإن اختلفت الألفاظ والعبادات إلا أن المعنى واحد.

أما المعنى الثاني، وهو أن الدعوة هي فن نشر الإسلام بين الناس، فقد عرفها بهذا التعريف كثير من الكتاب والدّعاة المعاصرين نقتصر منها على التعاريف التالية:

أ - عرفها الأستاذ / أبو المجد نوفل بقوله (إن الدعوة هي قيام من عنده أهلية النّصح والتوجيه السديد من المسلمين، في كل زمان ومكان، بترغيب الناس في الإسلام اعتقاداً ومنهجاً وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة)(٢).

ب - وعرفها آخر بقوله : (إن الدعوة إلى الله هي قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان، لاقتفاء أثر الرسول ﷺ ، والتأسي به قولاً وعملاً وسلوكاً(٣).

ج - وعرفها آخر بقوله الدعوة هي : (الحثّ على فعل الخير واجتناب الشر - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحبيب بالفضيلة، والتنفير عن

---

١) الأستاذ توفيق الواعي، الدعوة إلى الله/الرسالة/الوسيلة، الهدف،ص ١٩.

٢) أبو المجد نوفل، الدعوة إلى الله، خصائصها، مقوماتها، مناهجها، ص ١٨.

٣) محمد سيدي الحبيب، الدعوة إلى الله في سورة ابراهيم الخليل، ص ٢٧.

الرذيلة - واتّباع الحق، ونبذ الباطل)(١).

ولعل أقرب هذه التعريفات إلى الصواب هو : تعريف الدكتور أبو المجد نوفل وهو التعريف الأول، من تعريفات المعنى الثاني للدعوة.

ج] الموضوع :

عرف ابن منظور الموضوع بقوله: (موضوع كل علم مايبحث فيه عوارضه الذاتيه، كبدن الانسان لعلم الطب، فإنه يبحث فيه عن أحواله من حيث الصحة والمرض، وكالكلمات لعلم النحو، فإنه يبحث فيه عن أحوالها من حيث الاعراب والبناء)(٢).

وفي المعجم الوسيط : الموضوع : هو المادّة التي يبنى عليها المتكلم أو الكاتب كلامه(٣).

وموضوع الدعوة الإسلامية بحسب حال المدعو، فإن كان المدعو مسلماً فموضوع دعوته بحسب حاله، وهو لا يخرج عن دعوته إلى التمسك بطاعة الله ورسوله والعمل بالكتاب والسنة(٤).

وإن كان المدعو غير مسلمٍ فموضوع دعوته الإسلام توحيداً وشريعة(٥).

ونقصد بموضوع الدعوة هنا : موضوع دعوته ﷺ منذ بعثه الله الى أن

---

١) الشيخ محمد نمر الخطيب، مرشد الدعاة، ص ٢٤.

٢) ابن منظور، معجم المصطلحات العلمية والفنية، ص ٧٢٤.

٣) اخراج ابراهيم أنيس وآخرين، المعجم الوسيط، ٢/١٠٤٠.

٤) أنظر: د. توفيق الواعي، الدعوة إلى الله، ص ٨١.

٥) أنظر: مسفر البواردي، أسس الدعوة في سورة ابراهيم عليه السلام، ص ٥٥.

صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها وهو محصور في التوحيد والشريعة وهو شامل للمسلمين وغير المسلمين.

ـ] الوسيلة والأسلوب والفرق بينهما

١) الوسيلة في اللغة.

(وسل) فلان إلى الله بالعمل (يسل) وسلاً : رغب وتقرّب(١).

والوسيلة القربة، والواسل الراغب إلى الله، وتوسل اليه بكذا: تقرب إليه بحرمة آصرةٍ تعطفه عليه(٢).

والوسيلة ما يتقرب به إلى الغير، والجمع وسائل(٣) قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ..﴾(٤).

يقول ابن كثير: الوسيلة: هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود.(٥).

ويقول الفخر الرازي: الوسيلة هي التوصل إلى تحصيل المقصود(٦).

وفي المفردات الوسيلة: هي التوصل الى الشيء برغبة(٧).

---

١) إخراج ابراهيم أنيس وآخرين ، المعجم الوسيط، ١٠٣٢/٢.

٢) ابن منظور، لسان العرب، ٩٢٧/٢.

٣) الجوهري، الصحاح، ١٨٤١/٥.

٤) سورة المائدة، الآية (٣٥).

٥) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ٥٣/٢.

٦) الإمام الفخر الرازي، التفسير الكبير، ٢٢٠/٦.

٧) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٥٢٣.

ويقول ابن الأثير في النهاية : الوسيلة هي ما يتوصل به إلى الشيء، ويتقرب به، وجمعها وسائل(١).

٢) الوسيلة في الاصطلاح :

للوسيلة في الاصطلاح تعاريف نكتفي منها بالأتي:

أ) الوسيلة : هي كل مايتم به تبليغ الأساليب وحملها إلى المدعو(٢).

ب) الوسيلة : هي الطريقة التي يصل بها الأسلوب إلى المدعو(٣).

ج) الوسيلة في الدعوة أو الاتصال الدعوي هي : القناة الموصلة للغاية، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس(٤).

من مجموع تعاريف الوسيلة في اللغة والاصطلاح، أستطيع القول بأن الوسيلة هي: الأداة المستخدمة في إيصال المعاني ونقل الأفكار من الداعي إلى المدعو.

٣) الأسلوب في اللغة

الأسلوب : الطريق، والوجه، والمذهب يقال أنتم في أسلوب سوء، ويجمع

---

١) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/١٨٥

٢) د. عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ٤٢٩.

٣) د. أبو المجد السيد نوفل، الدعوة إلى الله، ص ١٨٩

٤) د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ركائز الاعلام في دعوة ابراهيم عليه السلام، ص ٢٩.

أساليب والأسلوب الطريق تأخذ فيه.

والأسلوب بالضم الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب القول، أي أفانين منه(١).

وفي المعجم الوسيط:

(الأسلوب): الطريق، ويقال سلكت أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه، وطريقة الكاتب في كتابته(٢).

٤) الأسلوب في الاصطلاح:

للأسلوب في الاصطلاح تعاريف عديدة: نكتفي بذكر ثلاثة منها:

أ) الأسلوب: هو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها، للتعبير بها عن المعاني، قصد الإيضاح والتأثير(٣).

ب) الأسلوب: هو الطريقة الكلامية، التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار مفرداته(٤).

ج) الأسلوب: عرض ما يراد عرضه، من معان وأفكار وقضايا، في عبارات وجمل مختاره، لتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم، وما يجب لكلّ مقام من

---

١) ابن منظور، لسان العرب، مادة سلب، ١٧٨/٢.

٢) إخراج ابراهيم أنيس وآخرين، المعجم الوسيط، مادة سلب، ٤٤٠/١.

٣) أحمد الشايب، الاسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، ص ٤٤.

٤) د. فهد بن عبدالرحمن الرومي، خصائص القرآن الكريم، ص ١٨.

المقـــال(١).

من معاني الأسلوب في اللغة، وتعريفاته في الاصطلاح، أصل إلى تعريف للأسلوب، فأقول: الأسلوب هو: فن العرض والتأثير والإقناع .

٥) الفرق بين الوسيلة والأسلوب :

تبين لنا مما سبق، أنّ الوسيلة هي: الأداة المستخدمة في إيصال المعاني، ونقل الأفكار، من الداعي إلى المدعو.

أما الأسلوب فهو : فن العرض والتأثير والاقناع، والفرق بينهما أن الوسيلة هي الآداة التي تنقل الأسلوب وتوصله للناس، أما الأسلوب فهو ذلك الفن من العرض والتأثير والاقناع فهو ليس أداة ناقلة كالوسيلة.

هـ) المدعو : يقصد بالمدعو إذا أطلق، كل مكلف بالعبودية والدينونه لله تعالى، وهم الثقلان(٢) قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٣).

ولكن في بحثي هذا أعني بالمدعو، هو كل من اتّصل به النبي ﷺ من بني آدم، ودعاه إلى الله تعالى.

والمدعوون أصناف، فمنهم المشرك بالله تعالى، فيحتاج إلى جهد كبير،

---

١) د. أحمد بن محمد أبا بطين، المرأة المسلمة المعاصرة، ص ٥٢٣.

٢) مسفر بن عبدالله البواردي، أسس الدعوة في سورة ابراهيم عليه السلام، ص ٤٤.

٣) سورة الذاريات، الآية (٥٦).

وأسلوب مناسب، ووسيلة مناسبة، ليتم اقناعه بالاسلام، ومنهم المؤمن، لكن إيمانه فيه ضعف، وللنفس والشيطان عليه سبيل، فهو يحتاج إلى جهد مضاعف، لكنه أقلّ من الجهد مع الصنف الأول، ومنهم الزعيم المغرور بزعامته، فهو بحاجة إلى أسلوب معين فيه لطف وليونة قال تعالى(١): ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾(٢).

١٠ أنواع التدرج

من أبرز أنواع التدرج في بعثته ﷺ نوعان هما:

أ) التدرج في التشريع

اقتضت حكمة الباري تعالى، أن يتدرج في التشريع شيئاً فشيئاً، من أجل ذلك نزل القرآن منجماً، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾(٣) أي أنزلناه شيئاً بعد شيء، ونجماً بعد نجم، ولو أخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد، لنفروا(٤).

يقول الفخر الرازي: (لو أنزل الكتاب جملة واحدة لنزلت الشرائع بأسرها دفعة واحدة، على الخلق، فكان يثقل عليهم ذلك، أما لو نزل مفرقاً منجماً،

---

١) انظر: مسفر البواردي، ص ٤٤.

٢) سورة طه، الآيه (٤٤).

٣) سورة الأسراء، الآية (١٠٦).

٤) القرطبي الجامع لأحكام القرآن ، /٣٤٠.

لاجرم نزلت التكاليف قليلاً قليلاً فكان تحملها أسهل»(١).

ومن أول من أشار إلى الحكمة من التدرج في التشريع، أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- حيث تقول: «... إنما نزل أوّل مانزل منه - أي القرآن - سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لاتشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً...»(٢) وقد بين ابن حجر رحمه الله في شرحه لهذا الحديث، الحكمة من هذا التدرج فقال: «أشارت الى الحكمة الالهية في ترتيب النزول، وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن، والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت: «ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر، لقالوا لا ندعها» وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف»(٣).

ويشير سيد قطب - رحمه الله - إلى حكمة التدرج في التشريع، وأهميته في التربية والتنشئة فيقول: (ولقد جاء هذا القرآن ليربي أمة، وينشىء مجتمعاً، ويقيم نظاماً، والتربية تحتاج إلى زمن، وإلى تأثر ... والنفس البشرية لا تتحول تحولاً كاملاً شاملاً بين يوم وليلة إنما تتأثر يوماً بعد يوم، بطرق هذا المنهج، وتتدرج في

---

١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ٧٩/٢٤.

٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، (ك ٦٩ ح ٤٧٠٧) ١٩١٠/٤.

٣) ابن حجر، فتح الباري، ٤٨/١٠.

مراقيه رويداً رويداً، وتعتاد على حمل تكاليفه شيئاً فشيئاً، فلا تجفل كما تجفل، لو قدم لها ضخماً ثقيلاً عسيراً)(١).

لقد أدرك العلماء سر التدرج في التشريع، ولاحظوا أنه أدعى إلى قبول الناس للأحكام، بخلاف ما لو نزل التشريع دفعة واحده، فإنه كان ينفر من قبوله، كثير من الناس، لنزول الفرائض والنواهي جملة واحدة، يثقل على النفس حملها(٢).

ب) التدرج في الدعوة

نقصد بالتدرج في الدعوة، تدرجه ﷺ في تبليغ الإسلام والدعوة إليه، تدرجه في الدعوة الى الموضوع، توحيداً وشريعة ، وتدرجه في إتخاذ الوسائل المناسبة لعمل دعوته ﷺ ، ونقلها إلى الناس، وتدرجه في اتخاذ الأساليب المناسبة، في الدعوة، وكذلك تدرجه ﷺ مع المدعوين، وهذا النوع من التدرج، هو موضوع بحثنا، وسأتناوله بشيء من التفصيل في صلب هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.

---

١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٥/٢٥٦٢.

٢) انظر د. صبحي الصالح، معالم الشريعة الإسلامية، ص ١٣٦.

الفصـــــــل الأول

التدرج في الدعوة باعتبار الموضوع

وفيه تمهيد ومبحثان

المبحـــث الأول : التوحيـد

المبحث الثاني : الشريعـة

تمهيـــد

بينت في تعريف الموضوع أن المدعو إذا كان غير مسلما فموضوع دعوته الإسلام توحيداً وشريعة، وقد بعث ﷺ في أمة جاهلية تعبد الأوثان وتشرك بالله الملك الديان، فكان موضوع دعوتهم الإسلام مبتدءاً بالتوحيد، ثم الشريعة، وقد قسمت هذا الفصل إلى مبحثين :

المبحـث الأول : التوحيـد .

المبحث الثاني : الشريعة .

وفيما يلي تفصيل هذين المبحثين

المبحث الأول : التوحيد

أولاً : مفهوم التوحيد

١) تعريف التوحيد :

سمي دين الإسلام توحيداً، لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله، لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته، لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته، لا ندّ له(١) وهذا الأخير هو الذي دعت إليه الرسل، فالتوحيد إذاً هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله به إلى عباده(٢)، وهو العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال والجلال والعظمة، وإفراده وحده بالعبادة(٣).

فتوحيد الله معناه : اعتقاد أن الله واحد لا شريك له، ونفي المثيل والنظير عنه، والتوجه إليه وحده بالعباده(٤).

وهذا المفهوم للتوحيد، هو الحق الموافق للصواب، لشموله لتوحيد الربوبية والألوهيه والأسماء والصفات، ولموافقته لما كان يعتقده السلف الصالح رضي الله عنهم.

---

١) الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ، تيسير العزيز الحميد، ص ٣٢،٣٣.

٢) الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، القول السديد في شرح كتاب التوحيد، ص ١٢،١٣.

٣) انظر: الشيخ السعدي، المرجع السابق، ص ١٠.

٤) الشيخ خالد محمد علي الحاج، مصرع الشرك والخرافة، ص ١٨.

٢) أنواع التوحيـد

التوحيد نوعان :

النوع الأول : توحيد في المعرفة والاثبات، ويشمل توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

النوع الثاني : توحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الألوهية والعبادة.

أما توحيد الربوبية فهو : توحيد الله بأفعاله، مثل الخلق والرزق والإحياء والإماته ونحوها، وهو الذي أقرّ به المشركون في زمنه ﷺ ، ولم يدخلهم في الإسلام، بل قاتلهم الرسول ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم(١)، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ﴾(٢).

فقريش ومن قبلهم من الأمم، مقرّون بهذا النوع من التوحيد، ولم تقع بينهم وبين أنبيائهم خصومة فيه، ومع ذلك لم يدخلهم الإسلام، ولم ينجهم من نقمة الله تعالى وعذابه(٣).

أما توحيد الأسماء والصفات : فهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسلـه نفيـاً وإثباتـاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن

---

١) عبدالرحمن بن محمد القاسم، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ٢/٤٥.

٢) سورة يونس، الآية (٣١).

٣) عبدالرحمن القاسم، (المرجع السابق)، ص ٤٥.

نفسه(١).

ودليل هذا النوع قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٣) وهذان هما النوع الأول وهو توحيد في المعرفة والاثبات.

أما توحيد الألوهية: فهو إخلاص العبادة لله وحده، من جميع الخلق(٤). فلا يعبد إلا الله وحده، ولا يشرك معه في العبادة أحداً، لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً، فضلاً عمّن دونهما، وهذا هو الذي يدخل الرجل في الإسلام(٥).

ودليله قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(٦)

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾(٧) وقوله تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ﴾(٨)

---

١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣/٣.

٢) سورة الإخلاص.

٣) سورة الشورى، الآية (١١).

٤) الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الثالث، الفتاوى، ص٤٢.

٥) الشيخ محمد بن عبدالوهاب، المرجع السابق، ص٤٢.

٦) سورة الأنبياء، الآية (٢٥).

٧) سورة الجن، الآية (١٨).

٨) سورة آل عمران، الآية (٣١).

وهذا التوحيد هو النوع الثاني وهو توحيد في الطلب والقصد، وهو الذي وقعت فيه الخصومة بين الأمم ورسلهم، من لدن نوح إلى محمد، عليهم الصلاة والسلام، وهو الذي أرسل الله الرسل من أجله، وأنزل الكتب، ومن أجله خلق الله الجن والإنس، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١)

وهذا النوع من التوحيد هو الذي سأبين أهمية البدء به في الفقرة التالية.

ثانيا : أهمية البدء بالتوحيد

الدعوة إلى التوحيد هي غاية بعثة الرسل عليهم السلام، لذا كان كل واحد منهم يستفتح دعوته بقوله(٢) : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾(٣).

فمن أجله خلق الله الخلق وأنزل الكتب وأرسل الرسل(٤) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾(٥) فدلت الآية على أن التوحيد هو أصل الدين، الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً سواه(٦) فرسل الله عليهم السلام كلهم متفقون على

---

١) سورة الذاريات، الآية (٥٦).
٢) انظر : ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١/١٥٤.
٣) سورة الأعراف، الآيات (٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥).
٤) انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١/١٥٤.
٥) سورة النحل، الآية (٣٦).
٦) انظر : ابن تيمية، ١/١٥٤.

البدء بالدعوة إليه وإن اختلفت شرائعهم(١) ذلك أنه أوجب حقوق الخالق على المخلوقين، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾(٢).

وحين تأملي للسيرة العطرة للرسول الكريم ﷺ تبين لي أهمية البداءة بالدعوة إلى هذا النوع من التوحيد من وجوه:

الأول : بقاؤه ﷺ ما يقارب نصف زمن الرسالة يدعو إلى هذا التوحيد، ويركز عليه دون غيره، يدل على ذلك مارواه الإمام مسلم عن أبي أمامة قال، قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت، وأنا في الجاهلية، أظن الناس على ضلالة. وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان. فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فاذا رسول الله ﷺ مستخفياً جرآؤا عليه قومه. فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له: ما أنت؟ قال «أنا نبي» فقلت: مانبي؟ قال «أرسلني الله» فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلت بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء.... الحديث»(٣). وروى البخاري عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاه، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبدالله بن أبي أمية، فقال «اي

---

١) انظر: ابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٢٠٢/٤.

٢) سورة الأسراء الآية (٢٣).

٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب اسلام عمرو بن عبسة، (٢٩٤/٦ ، ٥٦٩/١).

عم، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ... الحديث»(١).

وروى الإمام أحمد، أن النبي ﷺ كان يطوف على الناس بذي المجاز، يقول لهم: «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»(٢) بل مما يؤكد أهمية البداءة بالتوحيد استمراره ﷺ طيلة زمن الرسالة يبدأ بعرض التوحيد أولاً، يدل على ذلك قصة إسلام ضمام ابن ثعلبه، ووفد عبدالقيس، ومكاتبته ﷺ للملوك، يدعوهم الى التوحيد(٣). ثم إرشاده لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن، أن يبدأ بالدعوة إلى التوحيد، ونبّه الإمام ابن حجر إلى الحكمة في ذلك فقال: (ووقعت البداءة بهما - أي الشهادتين - لأنهما أصل الدين، الذي لا يصح شيء إلا بهما)(٤).

الثاني: ولاؤه ﷺ وبراؤه من أجله، فقد أحبّ قوماً وهم من أبعد الناس عنه نسباً، من أجل التوحيد، وأبغض آخرين وهم من أقرب الناس إليه نسباً، من أجله، مقتدياً في ذلك بأبيه الخليل عليه السلام، إذ يقول الله عنه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ

---

١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء، (٦٨/٤٤٩٤) ٤/١٧٨٨، ١٧٨٩.

٢) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ٤/٦٣.

٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري ١٥/٣٠١.

٤) ابن حجر، فتح الباري، ٤/١٢٧.

مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١)

فموالاة الله بعبادته والبراءة من كل معبود سواه، هو معنى لا إله إلا الله(٢)

قال تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾(٣) قال المفسرون: هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده، والمعنى جعل هذه الموالاة لله، والبراءة من كل معبود سواه، كلمة باقية في ذرية ابراهيم، يتوارثها الأنبياء وأتباعهم(٤)، ومنهم نبينا محمد ﷺ ، فقد كان يوالي ويعادي من أجل هذه الكلمة مهتدياً بقول الله تعالى : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾(٥). فدلت الآية على أنه لا يوجد مؤمنا يواد المحادين لله ورسوله ذلك أن نفس الايمان ينافي موادته كما ينفي أحد العقدين الأخر فإذا وجد الايمان انتفى ضده، وهو موالاة أعداء الله، فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه ، كان ذلك دليلاً على أن قلبه ليس فيه الايمان الواجب(٦) ومما يدل على هذا الولاء والبراء من

---

١) سورة الممتحنة، الآيه (٤).

٢) انظر : محماس بن عبدالله الجلعود، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، ١/١٣٢.

٣) سورة الزخرف، الآية (٢٨).

٤) انظر: الطبري ، جامع البيان ١٣/٦٣ وانظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ٤/١٢٦
وانظر : الشوكاني، فتح القدير، ٤/٥٥٣.

٥) سورة المجادلة، الآية (٢٢)

٦) انظر: ابن تيمية ، مجموع الفتاوى، ٧/١٧.

سيرته العطرة عليه الصلاة والسلام، هجرته من مكة - دار الشرك - إلى المدينة دار الاسلام، فقد كانت الهجرة واجبة عليه وعلى أصحابه من أجل نصرة الإسلام وموالاة أهله(١) فهاجر ﷺ امتثالاً لأمر ربه، وبراءة من الشرك وأهله وحينما نهى عن الاستغفار للمشركين في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾(٢) أي ما ينبغي لهم ذلك وهو خبر بمعنى النهي(٣). فانتهى ﷺ عن الاستغفار لعمه أبي طالب، وتبرأ من الشرك وأهله.

وحينما نُهي عن الصلاة على أهل النفاق في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾(٤) انتهى وتبرأ منهم، لأنهم فقدوا أصل الإيمان وهو التوحيد.

وكما كان براؤه من أجل التوحيد، فقد كان ولاؤه ﷺ من أجل التوحيد، مهتدياً بقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾(٥)

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾(٦).

---

١) انظر : ابن حجر، فتح الباري، ٦/ ١٢٠.

٢) سورة التوبة، الآية (١١٣).

٣) ابن حجر، ٩/ ٤٥٨.

٤) سورة التوبة، الآية (٨٤).

٥) سورة التوبه، الآية (٧١).

٦) سورة المائدة، الآية (٥٥).

وقد جاءت السنة تبين محبته ﷺ لأهل التوحيد، فقد صرح ﷺ بذلك لأحدهم يوم خيبر، حيث قال: «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»(١) فهذا الولاء منه والبراء، أصل في التوحيد مما يدل على أهمية البداءة به.

الثالث : عدم تنازله ﷺ عن شيء في التوحيد، فحينما عرضت عليه قريش أن يعبد آلهتهم سنه ويعبدون إلهه سنة(٢) نزلت المفاصلة في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾(٣)

وحينا طلبوا منه أن يتركهم وآلهتهم، ويتركوه وإلهه لم يقبل ﷺ وكان جوابه قولوا لا إله إلا الله(٤).

وحينما طلب منه وفد ثقيف أن يدع لهم الطاغية - اللات - بعض الوقت لم يقبل ﷺ ولم يأذن لهم في التوحيد شيئاً مما دل على أهمية البدء به(٥).

الرابع : تنازله ﷺ عن بعض أمور الشريعة من أجل التوحيد، يؤكد

---

١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي باب غزوة خيبر، (ك ٦٧ ح ٣٩٧٣) ١٥٤٢/٤.

٢) انظر: الواحدي، أسباب النزول، ص ٣٧٨ وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ٧٥٨/٩.

٣) سورة الكافرون.

٤) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٥٠/١٤.

٥) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١٣٧/٤.

أهمية البدء به، يدل على ذلك مارواه الإمام أحمد، عن نصر بن عاصم، عن رجل منهم أنه أتى النبي ﷺ «فأسلم على أنه لا يصلي إلا صلاتين فقبل منه ذلك»(١) الذي يظهر أن هذا الاشتراط في عهد متقدم من بعثته ﷺ ، فلما قوي الاسلام وكثر أتباعه لم يقبل من أحد الإسلام بدون صلاة فحينما سأله وفد ثقيف أن يعفيهم من الصلاة لم يقبل منهم ﷺ ذلك(٢).

وروى أبو داود عن جابر رضي الله عنه قال: « اشترطت ثقيف على رسول الله ﷺ إذ بايعت أن لا صدقة عليها ولا جهاد، وأنه سمع رسول الله ﷺ يقول بعد ذلك سيتصدقون ويجاهدون»(٣).

---

١) أحمد بن عبدالرحمن البنا ، الفتح الرباني، ٩٢/١.

٢) انظر : ابن هشام، السيرة النبوية، ١٣٧/٤.

٣) ناصر الدين الألباني، صحيح سنن أبي داود، كتاب الخراج والامارة، باب ماجاء في خبر الطائف، ٥٨٧/٢، ٥٨٨.

المبحث الثاني : الشريعة

أولاً : مفهوم الشريعة

١) الشريعة في اللغة :

مشرعة الماء، وهو مورد الشاربة

والشريعة : ما شرع الله لعباده من الدين، وقد شرع لهم يشرع شرعاً، أي سن.

والشارع : الطريق الأعظم، وشرعت في هذا الأمر شروعاً أي خضت.(١).

وفي المفردات : الشرع نهج الطريق الواضح.

يقال شرعت، والشرع مصدر، ثم جعل اسماً للطريق النهج فقيل له شرْعٌ وشريعة واستعير ذلك للطريقة الإلهية شرعة ومنهاجاً(٢).

٢) الشريعة في الاصطلاح

عندما تطلق الشريعة في الاصطلاح يراد بها معنيان :

الأول : عام، وذلك إذا أطلقت مفردة، فإنها تشمل كل ما شرع الله من الدين، عقائد وأحكاماً قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾(٣) ومما وصى به نوحا التوحيد، والفضائل، وأصول الشرائع(٤).

---

١) أنظر : الجوهري، الصحاح، ١٢٣٦/٣، مادة شرع.

٢) انظر : الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٢٥٨.

٣) سورة الشورى، الآية (١٣).

٤) انظر : الشوكاني، فتح القدير، ٥٢٩/٤.

وقد عرف الشريعة بهذا القول الدكتور محمد بن صالح عثمان حيث يقول الشريعة: (هي النظم التي شرعها الله تعالى، أو شرع أصولها، ليأخذ الإنسان بها نفسه، في علاقته بربه، وعلاقته بأخيه المسلم، وعلاقته بأخيه الإنسان، وعلاقته بالحياة)(١).

وعرفها آخر بقوله:

الشريعة : ما شرعه الله لعباده، من العقائد والأحكام، في شؤون الحياة كلها(٢).

الثاني : خاص، ويقصد بها ما شرع الله من الأحكام والأوامر والنواهي، قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾(٣).

ومعلوم أن المقصود في الآية، الشرائع دون العقائد، لأن العقائد واحدة في كل أمة، وعلى لسان كل نبي، وقد خصت كلّ أمة بشرعة تناسبها(٤).

وقد عرف الشريعة بهذا القول الإمام القرطبي حيث يقول: الشريعة في الاصطلاح الشرعي هي: الأحكام التي شرعها الله لعباده، سواء أكان تشريع هذه الأحكام بالقرآن، أم بسنة النبي ﷺ ، من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير(٥).

---

١) المجلس العلمي، وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية والشبهات التي تثار حول تطبيقها ص ١٤٦.

٢) المرجع السابق، ص ١٨٨.

٣) سورة المائدة، الآية (٤٨).

٤) انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٤/ ٢٧٠ وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٦٦ وانظر: الشوكاني ، فتح القدير، ٢/ ٤٨.

٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٦/ ١٧٣ .

وعرفها فضيلة الدكتور ناصر العقل بقوله: الشريعة في الاصطلاح: فروع الدين وأحكامه الفقهية(١).

وهذا المعنى للشريعة هو الذي أعني في بيان التدرج في الدعوة إليه، في هذا البحث.

ثانياً : صلة الشريعة بالتوحيد

هناك تلازم بين الشريعة والتوحيد، فالتوحيد مستلزم للشريعة، والشريعة متضمنة للتوحيد(٢) فالايمان يطلق أحياناً ويراد به كلاً من التوحيد والشريعة، يدل على ذلك قوله ﷺ لوفد عبد القيس: «آمركم بالايمان بالله وحده»، قال أتدرون ماالإيمان بالله وحده ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس...»(٣) ففسر عليه الصلاة والسلام الايمان بالتوحيد والشرائع(٤) ويطلق الاسلام ويراد به التوحيد والشريعة، يدل على ذلك حديث جبريل: «قال ماالإسلام ، قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي

---

١) د. ناصر بن عبدالكريم العقل، التلازم بين العقيدة والشريعة، ص ١١.

٢) انظر: ابن تيمية ، كتاب الإيمان، ١/ ٣٠ وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ١/ ١٥٨ وانظر: د. ناصر العقل ، التلازم بين العقيدة والشريعة، ص ١٤.

٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الايمان، باب أداء الخمس من الايمان، (كتاب ٢ ؛ ٥٣).

٤) انظر: د. ناصر العقل، التلازم بين العقيدة والشريعة ص ١٦.

الزكاة المفروضة وتصوم رمضان..»(١) ففسر الإسلام أيضاً بالتوحيد والأعمال المشروعة من صلاة وزكاة وصيام.

فالتوحيد هو الركن الأساسي، والأصل، والشريعة تبع له وثمرة من ثمراته، يدل على ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ : «بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت(٢) فالتوحيد مثاله أوسط الأعمدة في بيت الشعر، وبقية الأركان تمثل الشريعة فمادام الأوسط قائماً فالبيت موجود، ولو سقط منها، ما سقط من الأركان، فإذا سقط الأوسط سقط مسمى البيت، فالبيت بالنظر إلى مجموعه شيء واحد، وبالنظر إلى أفراده أشياء، وبالنظر إلى أسه وأركانه، فالأس هي أصل، والأركان تبع وتكملة(٣). ومثال التوحيد والشريعة ، كالشجرة الضخمة الباسقة المديدة الظلال، المتشابكة الأغصان، لابد لها أن تضرب بجذورها في التربة على أعماق بعيدة(٤) . فهذه الجذور هي التوحيد، والأغصان والثمرة هي الشريعة، يقول سيد قطب : (فهو دين يقوم كله على قاعدة الألوهيه الواحدة .. كل تنظيماته وكل تشريعاته تنبثق من هذا

---

١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان باثبات قدر الله سبحانه وتعالى، (ك ١ ح ٥) ١/٣٩.

٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الايمان، باب الايمان، وقول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس،(ك ٢ ح ٨) ١/١٢.

٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ١/٧٢،٧٣.

٤) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن١٤/١٠٠٩

الأصل الكبير»(١).

فأفضل شعب الايمان: التوحيد، وهو الأصل والأساس، وباقي الأعمال فروع وثمرات، لا تصح إلا بعد صحته(٢) يدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق .... الحديث»(٣) فصحة التوحيد شرط في قبول تلك العبادات، بل إن تلك الأعمال لا تسمى عبادة، إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة، إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة(٤) قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾(٥) وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾(٦) ففي هذه الآية، إشارة إلى أن سبب بطلان العمل الكفر(٧) والعمل الذي يقبله الله، هو ما

---

١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ١٠٠٩/١.

٢) انظر: النووي، صحيح مسلم، شرح النووي، ٤/٢ وانظر: السعدي، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، ص ١٩٩، ٢٠٠

٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب بيان عدد شعب الايمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء وكونه من الايمان، (ك ١ ح ٣٥) (٦٣/١).

٤) الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ١٧/٢.

٥) سورة التوبة، الآية (١٧).

٦) سورة الفرقان، الآية (٢٣).

٧) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢٢/١٣.

يصدر من الموحدين(١) ومما سبق تتبين صلة الشريعة بالتوحيد من وجوه :

١) يشملهما مسمى الايمان والاسلام والدين.

٢) أحدهما مستلزم والآخر متضمن.

٣) التوحيد هو الأصل والأساس ، والشريعة فرع وثمرة.

٤) صحة التوحيد شرط في قبول الشريعة.

ثالثا : التدرج في الدعوة إلى الشريعة

اقتضت حكمة الباري جل وعلا في دعوة عباده إلى الشريعة، أن يتدرج معهم على وجه لا يشق عليهم، مراعياً البدء بالأهم فالمهم(٢)، من هذه الشريعة أركان الاسلام، فقد تدرج الشارع في الدعوة اليها بدءاً بالأهم ثم المهم، فافترض عليهم أول شيء بعد التوحيد الصلاة، وذلك لعظيم أهميتها، يدل على ذلك مارواه البخاري في كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في حديث الاسراء الطويل وفيه يقول : قال النبي ﷺ: « ففرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى، فقال: مافرض الله على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: أرجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعني فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق، فراجعته فوضع شطرها، فرجعت اليه، فقال ارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته، فقال: هي

---

١) انظر : السعدي تيسير الكريم الرحمن، ٥/٤٧٢

٢) انظر : ابن سعدي، المرجع السابق، ١/٢٧٢.

خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدي .... الحديث»(١).

فكان فرض الصلاة متقدماً قبل بقية أركان الشريعة، يدل على ذلك حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث قالت: «فرضت الصلاة ركعتين، ثم هاجر النبي ﷺ، ففرضت أربعاً، وتركت صلاة السفر على الأولى»(٢) ففي قولها ثم هاجر، دليل على تقدم فرض الصلاة، وأنها فرضت قبل هجرته ﷺ مما يدل على مزيتها على سائر الفرائض والعبادات(٣) يؤكد هذه الأهمية، أنه ﷺ كان يبايع عليها بعد التوحيد، يدل على ذلك مارواه البخاري، عن جرير بن عبد الله قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم(٤) يقول ابن حجر مبيناً البدء بالصلاة بعد التوحيد : (وكان النبي ﷺ أول مايشترط بعد التوحيد، إقامة الصلاة، لأنها رأس العبادات البدنية، ثم أداء الزكاة، لأنها رأس العبادات المالية، ثم يعلم كل قوم ماحاجتهم إليه أمس)(٥).

وكما كان ﷺ يشترط بعد التوحيد الصلاة قبل غيرها، فقد كان ﷺ يقدمها على غيرها في فعله، يدل على ذلك حديث عتبان رضي الله عنه قال: (أصابني في

---

١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الأسراء، (ك ٨ ح ٣٤٢) ١/١٣٥،١٣٦.

٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الاسراء، (٨/٣٤٣) ١/١٣٧.

٣) انظر : محمد بشير الشقفه، فقه العبادات، ص ١٣٦.

٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب البيعة على إقام الصلاة، (ك ١٣ ح ٥٠١) ١/١٩٦.

٥) ابن حجر، فتح الباري، ٢/١٨٨.

بصري بعض الشيء، فبعثت الى رسول الله ﷺ ، إني أحب أن تأتيني فتصلي في منزلي، فاتخذه مصلى، قال فأتى النبي ﷺ ومن شاء الله من أصحابه..)(١) وقد فطن الامام النووي لفائدة عظيمة في هذا الحديث الكريم حيث يقول: (وفيه البداءة بالأهم فالأهم، فإنه ﷺ في حديث عتبان هذا، بدأ أول قدومه بالصلاة ثم أكل)(٢) فدل هذا العمل النبوي الكريم، على أهمية التدرج، ومراعاة البدء بالأهم فالأهم، في الدعوة الى الشريعة، وقد نبّه الإمام القرطبي إلى هذا التدرج الحكيم، فقال: (قال ابن عباس، بعث النبي ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدقوه فيها، زادهم الصلاة، فلما صدقوه زادهم الزكاة، فلما صدقوه، زادهم الصيام، فلما صدقوه، زادهم الحج، ثم أكمل لهم دينهم)(٣).

يدل على ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما حيث يقول: (لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن، قال له: (إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ماتدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا، فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا

---

١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، (ك ١ ح ٣٣) ١/٦١.

٢) النووي، صحيح مسلم، شرح النووي، ٢/٢٤٥.

٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٦/٢٦٤.

بذلك فخذ منهم، وتوقّ كرائم أموال الناس)(١) فقرر ﷺ في هذا الحديث التدرج في الدعوة إلى هذه الأركان، والبدء بالأهم فالمهم، وإلى هذا يشير النووي بقوله : (ولأنه ﷺ رتب ذلك في الدعاء إلى الإسلام، وبدأ بالأهم، ألا تراه بدأ بالصلاة قبل الزكاة)(٢) فدل على أهمية مراعاة التدرج في الدعوة والتعليم والبدء بالأهم فالأهم(٣).

وكما تدرج الشارع في الدعوة إلى أركان الإسلام، مراعياً البدء بالأهم ثم المهم، فقد راعى هذا الجانب في الدعوة إلى أخلاق الإسلام، حيث ابتدأ بالدعوة إلى أصول الأخلاق، من الصدق والعدل وأداء الأمانه والعفة(٤) مراعياً في ذلك جانب التدرج في الوجوب والعلو(٥). حيث حاجة الفرد إليها أمس، وأداؤها عليه أوجب، وقد جاءت الأدلة تؤكد إهتمامه ﷺ في هذا الجانب، في عهد مبكر من دعوته، من ذلك مارواه البخاري، عن ابن شهاب عن عبدالله، أن عبدالله بن عباس أخبره، أن أبا سفيان أخبره: أن هرقل أرسل إليه، فقال: فما يأمركم يعني

---

١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ماجاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، (ك ١٠٠ ح ٦٩٣٧) ٦/٢٦٨٥ .

٢) النووي، صحيح مسلم، شرح النووي، ١/١٩٨.

٣) انظر: الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كتاب التوحيد ، ص ٣٥.

٤) انظر: د. محمد عبدالله دراز، الأخلاق في القرآن، ص ٨٨ وانظر: د. أحمد عبدالرحمن ابراهيم، الفضائل الخلقية في الإسلام، ص ١١٩ وانظر: د. أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية، ص ٢٨.

٥) انظر: د. أحمد ابراهيم، الفضائل الخلقية في الإسلام، ص ١٣٨، ١٣٩.

النبي ﷺ - فقال : يأمرنا بالصلاة والصدقة، والعفاف والصلة(١) فدل هذا على أن هذه حاله ﷺ مع الناس في ابتداء دعوته(٢) يؤيد هذا، حديث جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - مع النجاشي، وفيه قوله : (فأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء...)(٣) فلما هاجر ﷺ وطبق المسلمون الإسلام وامتد ميدان الدعوة واتسعت البيئة أصل الرسول ﷺ الدعوة إلى ركائز أخرى في أخلاق المسلم من التأخي والتراحم والتعاون وترك التباغض والتحاسد حيث حاجة الأمة المسلمة إلى هذه الأخلاق أشد ممتثلاً قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(٤) وقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾(٥)

فكان عليه الصلاة والسلام يدعوهم إلى هذا التآخي والمودة، وينهاهم عن سيء الأخلاق، يدل على ذلك مارواه البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا

---

١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب ، باب صلة المرأة أمها ولها زوج، (ك ٨١ ح ٥٦٣٥) ٥/٢٢٣٠.

٢) انظر : ابن حجر، فتح الباري، ١/٦٤.

٣) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ٤/٦٣.

٤) سورة الحجرات، الآية (١٠).

٥) سورة الحجرات، الآية (١٢).

تجسسوا، ولاتحاسدوا ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا»(١) يبين ابن حجر المقصود بهذه الأخوة بقوله: (قال القرطبي المعنى كونوا كإخوان النسب، في الشفقة والرحمة، والمحبة والمواساة، والمعاونة والنصيحة)(٢) وكان ﷺ يدعو إلى هذه الفضائل بالثناء على صاحب الخلق الحسن فقد قال ﷺ لأشجّ عبدالقيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناه»(٣) فبين مافيه من الأخلاق الحسنة، وأثنى عليه بهما مبيناً أن الله يحبهما فالله يحب من عباده ماجبلهم عليه من خصال الخير(٤) وفي ثنائه ﷺ على هذا الرجل، دعوة له ولغيره إلى الأخلاق الحسنة، التي يحبها الله، والتي فيها خير للمسلمين وصلاح لهم.

وكما كان ﷺ يحث أصحابه، على التخلق بكماليات الأخلاق، فقد كان يحذرهم من الأخلاق السيئة، التي تفضي بهم إلى التشبّه بالمنافقين، والتخلق بأخلاقهم(٥) ويستفاد من هذا، أنه ﷺ كان يركز في هذا العهد، على الدعوة إلى كماليات الأخلاق، التي فيها خير وصلاح للأمة الإسلامية.

---

١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب النهي عن التحاسد والتدابر، (ك ٨١ ح ٥٧١٧) ٤٢٥٣/٥.

٢) ابن حجر، فتح الباري، ١٠٥/١٢.

٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين، والدعاء إليه، والسؤال عنه، وحفظه، وتبليغه من لم يبلغه، (ك ١ ح ٥٢) ٤٨/١.

٤) انظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد ٦٠٨/٣.

٥) انظر: النووي، صحيح مسلم، شرح النووي، ٤٧/٢.

الفصل الثاني

التدرج في الدعوة باعتبار الوسيلة

وفيه تمهيد وأربعة مباحث

المبحث الأول : القول

المبحث الثاني : السرايا والغزوات

المبحث الثالث : الكتب والرسائل

المبحث الرابع : الوفود والبعوث

تمهيـــد

بينت في الفصل الأول التدرج في موضوع الدعوة فذكرت التوحيد وأهمية البدء به ثم عقبت ببيان الشريعة وصلتها بالتوحيد وأهمية التدرج في الدعوة إليها وفي هذا الفصل سوف أبين الوسيلة النبوية التي من خلالها تم عرض هذا الموضوع فلكل موضوع فكرة ووسيلة، والداعية له وسائله العديده في إيصال وتبليغ دعوته للناس، ولكل وسيلة زمانها ومكانها الملائم لها. فمن الوسائل ما يصلح لزمان ولا يصلح لزمان آخر، وقد تكون هذه الوسيلة مثمرةً، لكنها في وقت آخر تصبح مثار سخرية واستهزاء(١).

وبعد تأملي لسيرته ﷺ العطرة تبينت أن وسائلة عليه الصلاة والسلام في تبليغ الدعوة وحمايتها قد جاءت متدرجة كأنها حلقات في سلسلة كل حلقة تقود إلى التي تليها فأظهرت لنا هذه الوسائل طبيعة التدرج في السير خطوة خطوة(٢) فبدأ ﷺ بوسيلة القول واستمرت هذه الوسيلة طيلة العهد المكي ثم لما هاجر ﷺ حيث الجماعة المسلمة وأقام دولة الإسلام اتخذ وسيلة لحماية هذه الجماعة وتلك الدولة وهي السرايا والغزوات اتخذها ﷺ للدفاع عن الدعوة وحمايتها من المعتدين ثم بعد أن هادن العدو في الحديبية اتخذ وسيلة بلاغية وهي الكتب والرسائل اتخذها لتبليغ الدعوة إلى العالم الخارجي ثم كانت أخر وسائله ﷺ بعث المبعوث ليقوموا بمهمة البلاغ والتعليم وفيما يلي التفصيل في هذه الوسائل.

---

١) د. زيد بن عبدالكريم الزيد، الحكمة في الدعوة إلى الله، ص ٨٩.

٢) منير محمد الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص ١٧٣.

المبحث الأول : القول

تبرز أهمية وسيلة القول، من حيث أنها وسيلة فطرية، متوفرة لدى الناس، إلا من شذ بسبب خرس أو نحوه(١) ويبرز القول وسيلة دعوية من حيث اهتمام القرآن الكريم، به فقد ورد لفظ «قل» في أكثر من ثلاثمائة آية(٢) من ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٣) ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(٤) ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾(٥) ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾(٦) ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٧) ومامن رسول، إلا قال لقومه شيئاً، وبين لهم، ولذا اقتضت حكمة الحكيم العليم، أن يبعث كل رسولٍ بلغة قومه(٨) قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾(٩) فالبيان بالقول هو وسيلة، الرسل عليهم السلام في دعوتهم(١٠) وهو وسيلة

---

١) د. محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص ٣١١

٢) انظر: د. البيانوني ، ص ٣١١

٣) سورة الاخلاص، الآية (١).

٤) سورة الكافرون، الآية (١).

٥) سورة النساء، الآية (٦٣)

٦) سورة طه، الآية (٤٥)

٧) سورة فصلت، الآية (٣٣)

٨) انظر: د البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص ٣١١

٩) سورة ابراهيم، الآية (٤).

١٠) انظر: د. عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة، ص ٤٧١

النبي ﷺ ، الأصيلة والأساسية، في عرض دعوته في العهد المكي(١) وحين تأملي لسيرته العطره ﷺ في هذا العهد، تبين لي مصداق ذلك، فقد كان ﷺ يعرض دعوته سراً بالقول، ثم لما نزل قوله تعالى : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ..﴾(٢) جهر ﷺ بالقول فقام خطيباً على جبل الصفا، ينذر قريشاً ويدعوهم إلى الله(٣) ودعا عليه الصلاة والسلام عمه أبا طالب قائلاً له : «أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله»(٤).

ومما يؤكد أن وسيلته ﷺ في هذا العهد القول حديث إسلام عمرو بن عبسة فقد روى مسلم عن أبي أمامة قال، قال عمرو بن عبسه السلمي : كنت وأنا في الجاهلية، أظن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء. وهم يعبدون الأوثان. فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً. فقعدت على راحلتي. فقدمت عليه. فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً، جرآء عليه قومه. فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة. فقلت له ما أنت ؟ قال «أنا نبي» فقلت : وما نبي؟ قال «ارسلني الله» فقلت : وبأي شيء أرسلك؟ قال «أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء...(٥) فقوله «فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً» وهذا الحوار مع رسول

---

١) انظر: د. حسن عيسى عبدالظاهر، فصول في الدعوة الإسلامية، ص ٨٧

٢) سورة الحجر، الآية (٩٤).

٣) انظر: مسفر البواردي، أسس الدعوة في سورة إبراهيم عليه السلام، ص ٨٦

٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء، (ك ٦٨ ح ٤٤٩٤) ١٧٨٨/٤، ١٧٨٩

٥) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب إسلام عمرو بن عبسة، (ك ٦ ح ٢٩٤) ٥٦٩/١

الله ﷺ ، يبين أن وسيلته عليه الصلاة والسلام في دعوة هذا الرجل هي القول، فلم يتجاوز عليه الصلاة والسلام القول إلى سواه يدل على ذلك قوله للرجل حينما قال له إن متبعك: «إنك لا تستطيع يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن إرجع إلى أهلك. فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني» فالقول هو وسيلته ﷺ في الدعوة في هذا العهد، من بدايته إلى نهايته، فحينما خرج إلى الطائف دعاهم إلى الله بالقول، يقول ابن اسحق : «لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف.... فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه..»(١) وحينما أمره الله بعرض نفسه على القبائل، كان يدعوهم بالقول، يقول ابن اسحق : «فكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل الى الإسلام، ويعرض عليهم نفسه، وما جاء به من الهدى والرحمة ...»(٢).

وبالقول استطاع ﷺ إقناع وفد الأنصار بدعوة الحق، حين التقى بهم فقد قال لهم كما يروى ابن اسحق : « أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا بلى ، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن. »(٣) وكان القول وسيلة مبعوثيه ﷺ ، في إقناع مدعويهم فقد قال مصعب بن عمير وهو مبعوثه ﷺ إلى يثرب لزعيمي بني عبد الأشهل: « أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً ورغبت

---

١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٤٨/٢

٢) ابن هشام، المرجع السابق، ٥٢/٢

٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ٥٤/٢ .

فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ماتكره؟ »(١) هذه النصوص تبين لنا أن القول هو الأصل في وسائل الدعوة إلى الله تعالى وهو الوسيلة الأولى والأصيلة في إيصال الحق إلى المدعوين.(٢).

---

١) ابن هشام، (المرجع السابق)، ٥٩/٢

٢) انظر: د. زيدان أصول الدعوة، ص ٤٧١ ، وانظر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الموسوعة الفقهية، ٣٣٢/٢٠، ٣٣٣.

المبحث الثاني : السرايا والغزوات

بعد أن أدّى القول دوره وسيلة بلاغية في العهد المكي، قامت به الحجة على المشركين، شرع الله الهجرة لنبيه ﷺ ، ثم شرع له القتال بالسيف وأنزل الحديد لينصر به الحق ويقيم به العدل، وليكون رادعاً لكل من أبى الحق، ولم يقبل شرع الله(١) قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾(٢) فبين أنه أنزل الكتاب وأنزل العدل، ومابه يعرف العدل، ليقوم الناس بالقسط، وأنزل الحديد، فمن خرج عن الكتاب والميزان قوتل بالحديد(٣) والمقصود به آلات الجهاد، كالسيف والرمح والنصل والدرع، ونحو ذلك من طائرات ومدافع ودبابات(٤) فأمر الله رسوله ﷺ بإتخاذ كافة أسباب القوة(٥) فقال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾(٦) وقد فقه ﷺ هذه التوجيهات الإلهية الكريمة، فاتخذ السرايا والغزوات، لتكون وسيلة دعوية هامة، تقوم على حماية الدعوة، من إعتداء المعتدين، لما تحدثه من أثر كبير

---

١) انظر : ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٨/١٥٧، ٣٥/٣٦

٢) سورة الحديد، الآية (٢٥).

٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٥/٣٦٦

٤) انظر : ابن تيمية ، ١٢/١٣٥ وانظر : السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٣/١٨٣

٥) انظر : محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ١٠/٦١

٦) سورة الانفال، الآية (٦٠).

في إرهاب العدو، وتحييده وزعزعة ثقته(١) فغزا ﷺ تسع عشر غزوة يدل على ذلك مارواه البخاري، عن أبي اسحق قال : سألت زيد بن أرقم - رضي الله عنه - كم غزوت مع رسول الله ﷺ؟ قال: (سبع عشرة، قلت كم غزا النبي ﷺ ؟ قال تسع عشرة)(٢) فكانت أولى هذه الغزوات غزوة الأبواء، حيث خرج ﷺ يريد قريشاً، فوادع بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة من كنانة، وادعه رئيسهم مجدي بن عمرو الضمري(٣) ثم غزا ﷺ غزوة بواط ، ووادع فيها بني مدلج من كنانة(٤) وأرسل ﷺ عدداً من السرايا، منها سرية عبدالله بن جحش، التي غنمت عيراً لقريش، بعد ما قتلت بعض أهلها وأسرت الباقين(٥)وقد أدت هذه الغزوات والسرايا دوراً كبيراً في إرهاب العدو وتحييده.

ثم كانت بعد ذلك غزوة بدر الكبرى، وأحد، والأحزاب، وقد كان لهذه الغزوات أثر كبير في دفع الهجوم عن دار الهجرة، ومنع إعتداء المعتدين ثم جاءت غزوات الحديبية وخيبر والفتح وحنين والسرايا المزامنة لها فكانت وسائل في إلزام قريش واليهود والعرب بالخضوع للقيادة الإسلامية، ودخول كثير من العرب الإسلام لما رأوا من نصرة الله لنبيه ﷺ وإعزاز دينه(٦) ثم جاءت بعد

---

١) انظر: د. محمد بن مخلف المخلف، الحرب النفسية، ص ٣٠٤

٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة العشيرة، أو العسيرة، (ك ٦٧ ح ٣٧٣٣) ١٤٥٣/٤.

٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧١،١٧٠/٢ وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ٤/٨

٤) انظر: ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١٧٧،١٧٦/٢ وانظر: ابن حجر، فتح الباري، ٤/٨

٥) انظر: ابن حجر، فتح الباري ، ٤/٨.

٦) انظر: د. محمد محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، ٤٧١

ذلك غزوة تبوك والسرايا المزامنة، لها لتكون وسيلة في بسط نفوذ المسلمين على جزيرة العرب، وإظهار قوة الإسلام وأهله، وابطال كيد الذين يتربصون بالإسلام الدوائر (١) وقد أشار ابن حجر، إلى دور هذه السرايا والغزوات في نشر الدين، ودحض الكفر فقال : (قال ابن دقيق العيد : القياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال، التي هي وسائل، لأن الجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه)(٢).

إضافة إلى ذلك كله فقد كانت تلك السرايا والغزوات بمجموعها وسيلة دعوية مهمة لما تحدثه من أثر في نفوس الأسرى، الذين يمن عليهم ﷺ ، فيكون لحسن تعامله معهم وعظيم منه عليهم عظيم الأثر في دخولهم الإسلام(٣) وهي وسيلة دعوية لما تحدثه من تساؤل لدى تلك القبائل العربية المنتشرة، حول الدعوة الجديدة وقيادتها، فيكون نتيجة هذا التساؤل، معرفة الإسلام والدخول فيه(٤).

---

١) انظر: صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ٤١٢

٢) ابن حجر، فتح الباري، ٧/ ٨٠

٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٨/ ٤٢١

٤) انظر: د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي ، مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم، ص ٧٨

المبحث الثالث : الكتب والرسائل

بعد أن أدت تلك السرايا والغزوات ، دوراً هاماً في إظهار قوة المسلمين، وارهاب أعدائهم، والقضاء على صناديد الكفر والطغيان، جاءت الكتب والرسائل بعد صلح الحديبية، لتؤدي دوراً في نقل الدعوة إلى خارج محيط العرب(١) ولتكون وسيلة هامة، لإسماع الناس نبأ الدعوة، وقد كان بعضهم يجهلها مثل كسرى، وبعضهم ينتظرها مثل قيصر(٢) فجاءت هذه الوسيلة بعد أن أصبحت دولة الإسلام أقوى دولة في محيطها، بعد أن هادنتها قريش، لذا اشتملت بعض هذه الرسائل، على التهديد بزوال الملك، لمن لم يدخل في الإسلام(٣).

جاء ذكر هذه الوسيلة، في كثير من كتب السير والسنن(٤) وسأكتفي بما ورد في الصحيحين، فقد روى مسلم عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى(٥).

فدل هذا الحديث على مكاتبته ﷺ للكفار، واتخاذ الكتاب في دعوتهم إلى الإسلام(٦) وفيما يلي نص كتابه ﷺ إلى هرقل، كما أورده البخاري : «بسم الله

---

١) انظر: منير محمد الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ٥٥/٣

٢) انظر: صالح الشامي، من معين السيرة، ص ٣٦٢

٣) انظر: محمد زكي الدين محمد قاسم، الدعوة إلى الله فقها ومنهجاً، ص ٢٨٦

٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١٨٨/٣ وانظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ٦٨٨/٣، ٦٩٧

٥) مسلم، صحيح مسلم، كتاب، الجهاد والسير باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله، (ك ٢٢ ح ١٧٤٤) ١٣٩٧/٣

٦) انظر: النووي، صحيح مسلم شرح النووي، ١١٣/١٢

الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم : سلام على من أتبع الهدى ، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين» يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»(١) فكان هذا الكتاب وأمثاله وسيلته ﷺ في دعوة هؤلاء القوم، وتبليغهم الإسلام، أشار إلى ذلك ابن حجر بقوله: (وفي الحديث، الدعاء إلى الإسلام بالكلام والكتابة)(٢).

وروى البخاري أيضاً عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - : « أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين يدفعه عظيم البحرين، إلى كسرى ... الحديث»(٣) فدلت هذه النصوص على عمله ﷺ بالكتاب، واتخاذه وسيلة دعوية لتبليغ من لم تبلغهم الدعوة.

وقد اتخذ ﷺ كافة الأسباب المؤدية إلى نجاح هذه الوسيلة، فاختار دعاة مخصوصين، لحمل هذه الكتب يستطيعون بيان الدعوة، والدفاع عنها، حين يسألون(٤)

---

١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدأ الوحي، باب كيف أوحى إلى رسول الله ﷺ ، (ك ١ ح ٧)، ١/٧، ٨.

٢) ابن حجر، فتح الباري، ٦/٢٠٩

٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب دعوة اليهود والنصارى، (ك ٦ ح ٢٧٨٠)، ٣/١٠٧٤

٤) انظر: د. أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية، ص ٤٢٣ .

واختار ﷺ خاتماً من فضة(١) يختم به تلك الرسائل، حين علم أنهم لا يقرأون كتابا إلا مختوماً(٢).

والذي يحسن ملاحظته، أن وسيلة الكتب والرسائل، أفادت كثيراً في تبليغ الدعوة(٣) ، فقد كانت سبباً في اسلام بعضٍ ممن كتب اليهم ﷺ(٤) ، فهي إذاً وسيلة دعوية صالحة لكل عصر، متى ما قام بها من يستطيع البيان والبلاغ، أفادت الدعوة الإسلامية كثيراً(٥).

---

١) فقد روى البخاري عن قتادة قال: سمعت أنساً رضي الله عنه يقول: لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم، قيل له: إنهم لا يقرأون كتاباً إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة، فكأني أنظر إلى بياضه في يده، ونقش فيه: محمد رسول الله» أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب دعوة اليهود والنصارى، وعلى ماتكون عليه، وما كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، والدعوة قبل القتال ٣/١٠٧٤

٢) انظر: صالح أحمد الشامي ، من معين السيرة، ص ٣٥٩

٣) انظر: د. أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية، ص ٤٢٣

٤) انظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ٣/٦٩٢-٦٩٦.

٥) انظر: د. أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص ٤٥٣.
وانظر : د. خليفة عسال، معالم الدعوة الإسلامية في عهدها المدني، ص ٣٨٥

المبحث الرابع : الوفود والبعوث

مما لا شك فيه، أن وسيلتي السرايا والغزوات، والكتب والرسائل، كان لهما دور بارز في الدفاع عن الدعوة، وإلزام الناس بالانقياد لها، وتبليغ الدعوة إلى الآفاق، فكانت نتيجة ذلك، أن جاءت الوفود تبايع رسول الله ﷺ على الإسلام قال سبحانه: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾(١) فاتخذ ﷺ من هؤلاء الوفود، وسيلة تعليمية حيث بعثهم لتعليم اقوامهم، وتبليغهم أحكام الدين، كما بعث ﷺ طائفة من فقهاء أصحابه، للقيام بهذه المهمة، وفيما يلي بعض التفصيل حول وسيلة الوفود والبعوث.

أولاً : الوفـود

لما بعث النبي ﷺ ، ودعا إلى الله ، توقف غالب العرب عن اتباعه، وقالوا ننظر مايصنع قومه، فلما فتح ﷺ مكة، وأسلمت قريش، تبعتهم العرب(٢) يقول ابن اسحق : (لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف ، وبايعت، ضربت اليه وفود العرب من كل وجه)(٣) فعرف هذا العام - وهو العام التاسع من الهجرة، بعام الوفود ، لكثرة من وفد إلى النبي ﷺ ، فكان من كمال حكمته ﷺ أن أحسن استقبال تلك الوفود، وتلطف في دعوتهم، وعلمهم أمور دينهم، ثم كلفهم بدعوة من وراءهم، فكانوا وسيلته ﷺ في تبلغ أقوامهم.

فقد كلف ﷺ وفد عبد القيس ، بحفظ ما علمهم به من أمور الدين، وإخبار

---

١) سورة النصر.

٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٢١٦/٧

٣) ابن كثير، السيرة النبوية، ٧٦/٤

من وراءهم فقال: «احفظوهن، وأخبروا بهن من وراءكم»(١) وقوله من وراءكم يشمل من جاءوا من عندهم، باعتبار المكان، ويشمل أولادهم وأحفادهم باعتبار الزمان(٢). وكانت وفادة هذا الوفد إلى النبي ﷺ للمرة الثانية سنة الوفود(٣).

وقد أورد البخاري، قصة وفد بني تميم، وقدوم الأشعريين وأهل اليمن، وقصة وفد طيء، وحديث عدي بن حاتم، وكل هؤلاء وفدوا إلى النبي ﷺ في سنة الوفود(٤) فأحسن استقبالهم، وعلمهم، وبعثهم دعاة إلى أقوامهم، وقد فصلت كتب السير في الوفود الذين وفدوا عليه ﷺ وكيف اتخذ ﷺ من هؤلاء الوفود وسيلة بلاغية تعليمية.

ثانياً : البعوث

بعث ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة عدداً من فقهاء أصحابه، إلى شتى الجهات، وخاصة جنوب الجزيرة، للقيام بمهمة تعليم الناس أمور دينهم، حيث أصبحت الحاجة ماسة الى معلمين ودعاة(٥) من هؤلاء الدعاة، أبا عبيدة بن الجراح، فقد بعثه ﷺ مع وفد أهل نجران كما روى ذلك البخاري، عن حذيفة رضي الله عنه قال : جاء أهل نجران إلى النبي ﷺ ، فقالوا : ابعث لنا رجلاً أمينا فقال : «لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين» فاستشرف له الناس فبعث أبا عبيد بن الجراح(٦) فبعثه ﷺ مبلغاً ومعلماً، يقول ابن حجر : (وفيه بعث الإمام

---

١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الايمان، باب أداء الخمس من الأيمان ، (ك ٢ ح ٥٣) ٢٩/١

٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ١٨٣/١

٣) انظر: ابن حجر، (المرجع السابق) ٤١٧/٨

٤) انظر: ابن حجر، (المرجع السابق) ٤٣٢/٨

٥) انظر: د. محمد سعيد البوطي، فقه السيرة النبوية، ص ٤٧١

٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، (ك ٦٧ ح ٤١١٩) ١٥٩٢/٤

الرجل الأمين إلى أهل الهدنة في مصلحة الإسلام)(١) .

وروى البخاري أيضاً، عن أبي بردة قال : «بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مخلاف، قال واليمن مخلافان ثم قال: «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا... الحديث»(٢) فكانت مهمة كل واحد منهما تعليمية قضائية، وكذلك كانت مهمة معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه النبي ﷺ إلى اليمن، الدعوة والتعليم فقد أوصاه ﷺ بقوله: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم أن يوحدوا الله تعالى ... الحديث»(٣) فكانت وصيته ﷺ له أن يبدأهم بالدعوة إلى الاسلام فإن أسلموا، علمّهم الإسلام، واقتصرت بعثته على التعليم والهداية، وإن كانت الأخرى قاتلهم(٤).

فدلت هذه النصوص ، على أنه ﷺ اختار طائفة من فقهاء صحابته، وبعثهم ليكونوا وسيلة دعوية، تقوم بمهمة تعليم الناس أمور دينهم(٥).

والذي ينبغي معرفته، أن السفر وبعث البعوث للقيام بمهمة الدعوة إلى الله، هي مسئولية المسلمين في كل عصر، وهي إحدى الوسائل المساعدة على القيام بهذا الواجب العظيم(٦).

---

١) ابن حجر، فتح الباري، ٤٢٩/٨

٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع، (ك ٦٧ ح ٤١٨٦)، ١٥٧٨/٤

٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، (ك ١٠٠ ح ٦٩٣٧)، ٢٦٨٥/٦

٤) انظر: الشيخ محمد أبو زهرة، خاتم النبيين، ١٤٠٥/٢

٥) انظر: أبو زهرة، (المرجع سابق) ، ١٤٠٥/٢.

٦) انظر: د. محمد سعيد البوطي، فقه السيرة النبوية، ص ٤٧٣

الفصـــل الثـالـــث

التدرج في الدعوة باعتبار الأسلوب

وفيه تمهيد وأربعة مباحـث

المبحـــث الأول : أسلوب العرض

المبحـث الثاني : أسلوب الحماية

المبحـث الثالث : أسلوب الإلزام

المبحـث الرابع : أسلوب التأليف

تمهيد

بعد أن بينت في الفصل السابق وسيلته ﷺ في الدعوة وكيف جاءت هذه الوسيلة متدرجة وفق حاجة الدعوة وظروفها فإني في هذا الفصل سوف أبين الأسلوب الحكيم الذي نهجه ﷺ في دعوته حيث ابتدأ بأسلوب العرض في العهد المكي فلم يكن ثم سوى عرض الدعوة فقط، فلما هاجر ﷺ إلى دار الهجرة اتخذ ﷺ اسلوباً آخر هو أسلوب الحماية هذا الاسلوب اتخذه ﷺ في الوقت المناسب حيث حاجة الدعوة ودعاتها إلى الحماية ثم لما هزم الله أعداءه في الأحزاب اتخذ ﷺ اسلوباً جديداً هو أسلوب الالزام كانت الغاية منه إلزام أعداء الدعوة بالخضوع لها وكسر شوكتهم فلا تقوم لهم بعد ذلك قائمة ثم لما أفاء الله عليه بحنين اتخذ اسلوباً دعوياً آخر هو أسلوب التأليف حيث بذل الكثير من العطايا من أجل تألف المدعوين على الدعوة وقد جاءت هذه الأساليب متدرجة مراعياً فيها ﷺ ظروف الدعوة زماناً ومكاناً وفيما يلي التفصيل في هذه الأساليب.

المبحث الأول : أسلوب العرض

ابتدأ ﷺ يعرض دعوته بالحكمة والقول اللين، وإقامة الدليل على صدق رسالته، وما جاء به، مكتفياً بالعرض اللطيف، مقتدياً بهدي اخوانه من الرسل عليهم السلام، فقد قال سبحانه مخاطباً موسى وهارون، وقد بعثهما إلى فرعون طاغية الأرض في زمانه ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾(١) وقال لرسوله ﷺ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾(٢) فجعل المطلوب أحد الأمرين إما التقوى أو التذكر(٣) لذا كانت سمة هذه الفترة في دعوته ﷺ العرض بالحكمة واللين لما في ذلك من التأثير في الإجابة(٤) ممتثلاً قول الله عز وجل : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(٥) فأمر الله رسوله أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف وهو أن يسمع المدعو حكمة وهو الكلام الصواب القريب الواقع من النفس أجمل موقع (٦)وهذه الطرق الثلاثة - في الآية - هي النافعة في العلم والعمل(٧) فعرض ﷺ دعوته على الناس بهذه

---

١) سورة طه، الآية (٤٤)

٢) سورة طه، الآية (١١٣)

٣) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٣٩/١٥

٤) انظر: الشوكاني، فتح القدير، ٣٦٦/٣

٥) سورة النحل، الآية (١٢٥)

٦) ابو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ٥٤٩/٥

٧) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٤٢/٢

الطرق الثلاثة الحكيمة مراعياً في ذلك ما يقتضيه المقام من معاني الكلام ومن أحوال المخاطبين من خاصة وعامة(١) فالذي له فهم وقصد إذا دعى بالحكمة وبين له الحق قبل واستجاب(٢) فالصديق - رضي الله عنه - قبل واستجاب حين عرض عليه النبي ﷺ الحق دون تردد يدل على ذلك قوله ﷺ : «إن الله بعثني إليكم فقلتم : كذبت - وقال أبو بكر : صدقت، وواساني بنفسه وماله..»(٣) ومن الأدلة على هذا العرض الحكيم ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ضماداً قدم مكة وكان من أزد شنوءة وكان يرقى من هذه الريح فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون : إن محمداً مجنون، فقال : لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، قال فلقيه فقال يامحمد : إني أرقي من هذه الريح. وإن الله يشفي على يدي من شاء فهل لك ؟ فقال رسول الله ﷺ «إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد» قال فقال أعد كلماتك هؤلاء. فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال فقال : لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر * قال فقال هات يدك أبايعك

---

١) انظر : ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٤/ ٣٣٠

٢) انظر : ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٩/ ١٦٤

٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ : «لو كنت متخذاً خليلاً»، (ك ٦٦ ح ٣٤٦١) ٣/ ١٣٣٩.

* وفي سائر الروايات «قاموس البحر» وهو وسطه ولجته، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ٨١.

على الإسلام، قال فبايعة فقال رسول الله ﷺ ، وعلى قومك «قال : وعلى قومي ..»(١).

وحيث إن النفوس غالباً لا تقبل الحق إلا بما تستعين به من حظوظها التي هي محتاجة إليها(٢) لذا كان ﷺ يعرض دعوته بالترغيب تارة، وبالترهيب أخرى وذلك لما فيهما من صلاح للقلوب فترغب فيما ينفعها وترهب مما يضرها(٣) قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾(٤) فالترغيب والترهيب من مهام الرسل وأساليبهم في الدعوة قال تعالى واصفا نبيه ﷺ : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾(٥) يقول الفخر الرازي «فيه ترتيب حسن، وذلك من حيث أن النبي ﷺ أرسل شاهداً بقول لا إله إلا الله، ويرغب في ذلك بالبشارة، فإن لم يكف ذلك يرهب بالإنذار»(٦).

فالترغيب يكون بالبشارة بالخير، وتيسير طرقه، والاعانة عليه، والترغيب فيه بكل ممكن(٧) يدل على ذلك مارواه البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : « أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يارسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فأقرأ عليها السلام من ربها ومني،

---

١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (ك ٧ ح ٨٦٨)، ٢/٥٩٣

٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٨/٣٦٦

٣) انظر: ابن تيمية، (المرجع السابق)، ١٠/٩٥

٤) سورة الأنعام، الآيتين، (٤٨،٤٩)

٥) سورة الأحزاب الآيتين (٤٥،٤٦)

٦) الإمام الفخر الرازي، التفسير الكبير، ٢٥/٢١٦،٢١٧

٧) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٨/٣٦٩

وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»(١) ففي هذه البشارة ترغيب لخديجة رضي الله عنها بمزيد من العمل الصالح، وفيها بيان فضلها، لسبقها نساء الأمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها(٢).

ومن ذلك حثه ﷺ صحابته على الصبر، وتبشيرهم بالتمكين لهم في الأرض، بقوله : «والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله»(٣).

ومما يدل على أنه ﷺ كان يعرض دعوته بأسلوب البشارة، ما رواه الإمام أحمد بسند صحيح أن النبي ﷺ كان يخاطب الناس في ذي المجاز : «يا أيها الناس قولوا لا إلا إلا الله تفلحوا»(٤) وفي هذا بشارة بالفلاح لمن آمن واستجاب، فإذا أبت النفوس إلا الإعراض عن الحق والإصرار على الباطل(٥) جاءت الموعظة، التي تطرق القلب، وتقرع مشاعر الانسان(٦) وجاء الترهيب ليتخذ طريقه إلى القلوب من خلال ماركب فيها من غريزة الخوف(٧).

---

١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها، (ك ٦٦ ح ٣٦٠٩) ١٣٨٩/٣

٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٥١٧/٧

٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، (ك ٩٣ ح ٦٥٤٤)، ٢٥٤٦/٦

٤) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ٣٤١/٤

٥) د. عبدالغني محمد سعيد بركة، اسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً، ص ١١١

٦) د. عبدالفتاح عاشور، منهج القرآن في تربية المجتمع، ص ٢٤٩

٧) د. عبدالغني محمد سعد بركة، (المرجع السابق)، ص ١١١

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما نزلت : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي ﷺ الصفا، فجعل ينادي : يابني فهر ... ثم قال ﷺ : «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد... الحديث»(١).

وروى البخاري أيضا عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «مثلي ومثل مابعثني الله، كمثل رجل أتى قوماً فقال رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء النجاء ... الحديث»(٢).

وتروي كتب التفسير والسير حادثة تصور وقع الإنذار على قلب رجل مشرك حينما استمع إلى النبي ﷺ وهو يقرأ صدراً من سورة فصلت حتى بلغ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ فوضع هذا الرجل يده على فم رسول الله ﷺ وناشده الرحم أن يكف مخافة وقوع العذاب(٣). واذا أصر الخصم على العناد وردّ الحق وإثارت الشبهات حول الداعية ودعوته فإن الداعيةَ الحكيم يعرض دعوته حينئذ بالمجادلة بالحسنى، فيبطل شبه المشركين وهذا ما سلكه الرسول ﷺ مهتدياً بهدي من سبقه من أولي العزم من الرسل، حيث جادلوا أقوامهم في بيان الحق، وإبطال الشبه، وقد أشار الله تعالى إلى هذه المجادلة في كتابه الكريم، فقال تعالى في شأن قوم نوح عليه السلام ومجادلتهم لنبيهم : ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ

---

١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب وأنذر عشيرتك الأقربين وإخفض جناحك، (ك ٦٨ ح ٤٤٩٢) ١٧٨٧/٤

٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، (ك ٨٤ ح ٦١١٧) ٢٣٧٨/٥

٣) انظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٣٨/١٥.

ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(١) وإبراهيم عليه السلام جادله قومه في ذات الله تعالى وقد ذكر الله ذلك بقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ ﴾(٢) ولما جادلت قريش النبي ﷺ ، وبدأت تثير الشبه حول رسالته، كان التنزيل الكريم يؤيده عليه الصلاة والسلام، في دحض شبهاتهم وإبانة الحق، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾(٣) أي لا يأتونك بشبه في إبطال أمرك، إلا جئناك بالحق الذي يدحض شبهة أهل الجهل، ويبطل كلام أهل الزيغ (٤) ومما يدل من السنة على قيامه ﷺ بدحض شبه المشركين، ما رواه الحاكم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففتّه فقال يامحمد أيبعث هذا بعد ما أرم قال نعم يبعث الله هذا ! يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم، فنزلت الآيات : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ **....إلى آخر السورة**(٥) (٦).

---

١) سورة هود، الآية (٣٢)

٢) سورة البقرة، الآية (٢٥٨)

٣) سورة الفرقان، الآية (٣٣)

٤) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ٤٩٧/٦

٥) سورة يس ، الآيات (٧٧،٨٣)

٦) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ٤٢٩/٢.

المبحث الثاني : أسلـــوب الحمايـــه

لولا ما شرعه الله لأنبيائه وعباده المؤمنين من قتال الأعداء، لاستولى أهل الشرك، وذهبت مواضع العبادة من الأرض(١) قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ ﴾(٢) (٣).

يقول الطبري : (لولا دفاع الله بأصحاب محمد عن التابعين ﴿ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ ﴾(٤) فكان هذا الدفاع حماية لدار الاسلام، عقيدة وشريعة ومجتمعاً(٥) وهذه حكمة فرض الجهاد فهو مشروع لمقاصد منها دفع الصائل والمؤذي، والتمكن من عبادة الله، وإقامة الشرائع الظاهرة(٦) فهذه الشعائر والعبادات ، لا بد لها من حماية تدفع عنها الذين يصدون عن سبيل الله، وتمنعهم من الاعتداء على حرية العقيدة، وحرية العبادة وعلى قداسة المعابد وحرمة الشعائر(٧). وفي هذا دلالة على أن غاية الجهاد بعد دفع الاعتداء ومنع الظلم، هو التمكين للدعوة الإسلامية(٨).

---

١) انظر : القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٢/ ٧٠ وانظر : الشوكاني، فتح القدير، ٣/ ٤٥٧

٢) سورة الحج، الآية (٤٠)

٣) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١/ ١٧٤

٤) الطبري،جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١/ ١٧٤

٥) انظر : سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣/ ١٤٤١

٦) انظر : السعدي ، تيسير الكريم الرحمن، ٥/ ٢٩٩/ ٣٠٠

٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٤/ ٢٤٢٤

٨) انظر : محمد أبو زهرة، خاتم النبيين، ٢/ ٦٨٢.

والمتأمل لسيرة إمام الدعاة ﷺ ، يتبين له حرصه الشديد على القيام بهذه الحماية منذ مقدمه المدينة ، فمن أجل حماية جوف المدينة كان أحد بنود الوثيقة المبرمة مع اليهود (وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة)(١) ومن أجل هذه الحماية، كثف السرايا والغزوات، ليعمل حزاما أمنياً حول المدينة، بمصالحة مجاوريها، وضمهم لصالح قواته أو محايدتهم(٢).

ومن أجل هذه الحماية انتدب ﷺ بعض أصحابه، للقضاء على كل من إشتد ضرره على الدعوة ونقض عهده مع الرسول ﷺ فقد قال ﷺ : «من لكعب ابن الأشرف؟ فإنه آذى الله ورسوله(٣) فقد كان يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه قريشاً، ويشبب بنساء المسلمين(٤) فانتدب إليه بعض أصحابه ﷺ فاغتالوه(٥) وكذلك فعل ﷺ مع أبي رافع عبدالله بن الحقيق، حينما آذاه وأعان عليه غطفان ومشركي قريش، فأرسل ﷺ اليه رجالاً من الأنصار فقتلوه، وما فعل ذلك عليه الصلاة والسلام، إلا حماية للدعوة من هؤلاء وأمثالهم(٦).

ومن أجل هذه الحماية، بل من أجل الدفاع عن الحق وأهله، أذن الله

---

١) ابن هشام، السيرة النبوية، ١٠٨/٢

٢) انظر: الشامي، من معين السيرة، ص ١٨٤ وانظر : المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ١٧٧، ١٧٨.

٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف، (ك ٦٧ ح ٣٨١١) ١٤٨١/٤

٤) ابن حجر، فتح الباري، ٧٧/٨

٥) انظر: ابن حجر، المرجع السابق، ٨٠/٨

٦) انظر: ابن حجر، المرجع السابق، ٨٤/٨

لرسوله ﷺ بالقتال فقال سبحانه : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾(١) أي بسبب كونهم مظلومين، وهم أصحاب رسول الله ﷺ ، كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديداً، وكانوا يأتون رسول الله ﷺ بين مضروب ومشجوج يتظلمون إليه، فيقول لهم أصبروا، فإني لم أومر بالقتال، حتى هاجر فأنزلت هذه الآية، وهي أول آية أذن فيها بالقتال فقد روى ابن جرير الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «لما خرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: اخرجوا نبيهم، ليهلكن فنزلت ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ﴾ الآية. قال ابن عباس: فهي أول آية أنزلت في القتال»(٢).

والمتأمل لسيرته ﷺ يتبين له أنه ﷺ لم يقاتل المشركين إلا لأنهم أخرجوه من مكه، وآذوه واستولوا على أموال المسلمين، وقصدوا فتنتهم في دينهم، ولم يقاتل اليهود، إلا لأنهم بدأوا بالعداوة للمسلمين، فكان هذا القتال حماية للدعوة من معارضيها المعاندين، والتقصير في هذه الحماية، يعرض الدين للزوال(٣).

من أجل ذلك قاتل ﷺ المشركين في بدر، حيث خرجوا من مكة، بطراً ورياءً ومحادّة لله ورسوله، كما أخبر الله عنهم في كتابه الكريم، وكما أخبر ﷺ بذلك .

---

١) سورة الحج، الآية (٣٩)

٢) الترمذي، جامع الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحج/ح ٣١٧١ ٥/ ٣٢٤.

٣) انظر : د. أحمد بن أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، ص ٤٥

وقاتلهم في أحد دفاعاً عن الحق وأهله، وحماية للإسلام والمسلمين من شرهم، وقد بدأوا العدوان، وقاتلهم ﷺ في الأحزاب، وقد اجتمع أهل الشرك يريدون الإسلام وأهله، فأمر ﷺ بحفر الخندق ودافعهم حتى هزمهم الله سبحانه، وقتل من قتل من اليهود، وأجلى من أجلى، لأنهم بدأوا بالعدوان ونقضوا العهد معه وآذوه ﷺ، فأراد بهذا القتل والإجلاء حماية الدعوة وأهلها من شرهم، كما أسلفنا في قصة مقتل كعب ابن الأشرف وغيره(١).

---

١) انظر : ص ٩٠ من هذا البحث.

المبحث الثالث : أسلوب الإلزام

بعد أن هزم الله الأحزاب انتقلت الدعوة إلى أسلوب جديد، وهو أسلوب الإلزام، حيث ألزم ﷺ جميع أعدائه الظاهرين، بالخضوع لسلطان الدعوة، وقد صرح بهذا بقوله عليه الصلاة والسلام : «الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم» فطوّع قريشاً بمصالحته، ثم بفتح مكة والقضاء على الوثنية والفتنة، وطوع اليهود بإجلائهم من المدينة ثم غزوهم في خيبر والقضاء على شوكتهم وفيما يلي شيء من التفصيل حول إلزام هاتين الطائفتين.

أولاً : إلزام المشركين

لما كانت قريش قد حملت لواء عداوته ﷺ، وأعلنت الحرب ضده ﷺ، وهي زعيمة العرب، لتشرفها بمجاورة بيت الله الحرام ، والقيام عليه، كان من كمال حكمته ﷺ حين خرج يريد العمرة هو وأصحابه وبركت ناقته، أن عرض عليهم المصالحة فقال: «والذي نفسي بيده لا يسألونني خطةً يعظمون فيها حرمات الله إلا

أعطيتهم إياها»(١) ثم بدأ عليه الصلاة والسلام يبين لمبعوثي قريش هدف مجيئه، ويدعوهم إلى مهادنته فيقول : «إنا لم نجيء لقتال ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم ، فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا . وإن هم أبو فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا، حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره»(٢) فهددهم ﷺ بالمقاتلة إن لم يخلوا بينه وبين الناس ثم طلب من أصحابه البيعة على القتال، حينما ارتهنت قريش عثمان رضي الله عنه. فلما علمت قريش بتلك البيعة ، سارعوا في إرسال عثمان وطلب المصالحة(٣) فصالحهم عليه الصلاة والسلام على شروط أملوها، ظاهرها الشدة على المسلمين، وباطنها النصرة والعزة، حيث كانت تلك الشروط هي عين نصرته ﷺ ، وهي أكبر جند نصبه العدو لحربه من حيث لا يشعر فكانت عاقبتهم الذلة والقهر وعاقبته ﷺ النصر والعزة(٤) يدل على ذلك نزول صدر سورة الفتح، في أعقاب تلك المصالحة، وهي قوله عز وجل : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾(٥) يقول ابن كثير : (المراد به صلح الحديبية)(٦) فكان في هذا الصلح إلزام المشركين بعدم التعرض للدعوة

---

١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، (ك ٥٨ ح ٢٥٨١) ٢/٩٧٤.

٢) البخاري، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد، (ك ٥٨ ح ٢٥٨١) ٢/٩٧٥.

٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٥/٦٩٥

٤) انظر: ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد، ٣/٣١٠

٥) سورة الفتح، الآية (١).

٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣/١٨٣

وأهلها، فكان في ذلك النصر المبين، يدل على ذلك مارواه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : «تعدون أنتم الفتح، فتح مكة، وقد كان فتحاً، ونحن نعد الفتح ، بيعة الرضوان يوم الحديبية ... الحديث»(١) يعلل ابن حجر رحمه الله ذلك بقوله: (لأنها كانت مبدأ الفتح المبين، على المسلمين لما ترتب على الصلح الذي وقع، منه الأمن ورفع الحرب وتمكن من يخشى الدخول في الإسلام والوصول إلى المدينة من ذلك)(٢).

وقد نبّه جماعة من العلماء إلى الحكمة العظيمة، والفوائد الجمة المترتبة على إلزام، المشركين بهذه المصالحة، فيقول الزهري : (لم يكن في الإسلام فتح قبل فتح مكه أعظم منه، - يعني الحديبية - وإنما كان الكفر حيث القتال، فلما أمن الناس كلم بعضهم بعضاً، وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، ولم يكن أحد في الإسلام يعقل شيئاً، إلا بادر إلى الدخول فيه، فلقد دخل في تلك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر)(٣).

ويقول النووي : (فكانت تلك المصالحة المترتبة على إتمام هذا الصلح، ماظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة، التي كانت عاقبتها فتح مكة، وإسلام أهلها كلهم ودخول الناس في دين الله أفواجا، وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا

---

١) البخاري، صحيح البخاري ، باب غزوة الحديبية، (ك ٦٧ ج ٣٩١٩/ ٣٩٢٠) ٤/١٥٢٥

٢) ابن حجر، فتح الباري، ٨/٢٠٩.

٣) ابن حجر، فتح الباري، ٨/٢٠٩ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/٢٠٦.

يختلطون بالمسلمين فلما حصل الصلح اختلطوا بالمسلمين)(١).

فكان الإلزام بهذه المصالحة خاص بقريش - العدو الوثني -(٢) وقد إعترفت قريش في أعقابه بالكيان الإسلامي، إعتراف الند بالند(٣) فكان ذلك مدعاة لدخول كثير من القبائل في الإسلام بعد أن أمنوا من قريش ، بعد مصالحتها للنبي ﷺ(٤).

بل كان هذا الصلح مقدمة لفتح مكة، حيث نقضت قريش صلحها مع النبي ﷺ، فكان ذلك داعياً لمسيره ﷺ إليهم وفتح مكة(٥) والقضاء على فتنتهم، حيث كانوا يصدون عن دين الله يقول تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾(٦) ولذا أقبل الناس على دين الله أفواجاً فقد روى البخاري في كتاب المغازي، عن عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - قوله : (وكانت العرب تلوم باسلامها الفتح، فيقولون : اتركوه وقومه، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة الفتح، بادر كل قوم باسلامهم وبدر أبي قومي باسلامهم .. الحديث)(٧).

---

١) النووي، صحيح مسلم، شرح النووي، ١٢/ ١٤٠

٢) انظر: البوطي، فقه السيرة النبوية، ص ٣٧٤

٣) انظر: أبو شهبة، السيرة النبوية، (٢/ ٣٤٠)

٤) انظر: حاشية د. مصطفى ديب البغا على صحيح البخاري، ٤/ ١٥٢٥

٥) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٨/ ١٦٤، ١٦٥

٦) سورة البقرة، الآية (١٩٣) وسورة الأنفال، الآية (٣٩).

٧) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح، (٦٧/ ٤٠٥١) ٤/ ١٥٦٤، ١٥٦٥

ثانياً : إلزام اليهـود :

اتسمت سيرة اليهود مع النبي ﷺ بالعداوة الشديدة، ونكث العهود، فقابلوا الإحسان بالإساءة، وحاربوا الدعوة الإسلامية حرباً لا هوادة فيها، وهموا بقتل النبي ﷺ ، وهو في دارهم وسعوا في الإفساد بين المسلمين(١) وبذلوا الكثير في دعم النفاق وأهله، فما كان منه ﷺ ، إلا أن أمرهم بالجلاء إن لم يستجيبوا لهذا الدين، فقد روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بينما نحن في المسجد، خرج النبي ﷺ فقال: «انطلقوا إلى يهود» فخرجنا حتى جئنا بيت المدراس، فقال: «أسلموا تسلموا، واعلموا أن الأرض لله ورسوله، إني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن يجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله»(٢). وروى مسلم عن ابن عمر، «أن يهود بني النضير وقريظة حاربو رسول الله ﷺ فأجلى رسول الله ﷺ بنى النضير، وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة بعد ذلك فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا أن بعضهم لحقوا برسول الله ﷺ فآمنهم واسلموا وأجلى رسول الله ﷺ يهود المدينة كلهم، بني قينقاع (وهم قوم عبدالله بن سلام)

---

١) انظر: أبو شهبة، السيرة النبوية، ٢/٣٨٩

٢) البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، (ك ٦٢ ح ٢٩٩٦) ٣/١١٥٥.

ويهود بني حارثة وكل يهودي كان بالمدينة»(١) أجلاهم لأنهم حاربوه ﷺ فتحولوا من معاهدين إلى حربيين(٢) فأمرهم بالجلاء فتحول بعضهم إلى الشام، وتحوّل أشرافهم إلى خيبر.

وبدأو من خيبر يكيدون لرسول الله ﷺ ، فمنها انطلق وفدهم الذين حزبوا الأحزاب وقادوهم إلى المدينة(٣) ثم لما هزمهم الله في الأحزاب، بدأوا يُبَيّتون النوايا للقيام بهجوم واسع النطاق على المدينة، مستعينين بإخوانهم من يهود تيماء وفدك ووادي القرى(٤) ومستعينين بحلفائهم غطفان على أن يعطوهم نصف ثمار خيبر إن غلبوا المسلمين.

فما كان من رسول الله ﷺ إزاء هذا الخطر الكامن، وبعد أن أمن جانب قريش بمصالحتهم في الحديبية، إلا أن يسير إلى هؤلاء لتصفية حسابه معهم(٥) يدل على ذلك مارواه البخاري عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً ، وكان إذا أتى قوما بليل ، لم يقربهم حتى يصبح ، فلما أصبح ، خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد والله والخميس ، فقال النبي ﷺ : «خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»(٦) فقاتلهم ﷺ

---

١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب اجلاء اليهود من الحجاز، (ك ٣٢ ح ١٧٦٦) ١٣٨٨،١٣٨٧/٣.

٢) انظر: النووي، صحيح مسلم، شرح النووي، ٩١،٩٠/١٢.

٣) انظر، صالح الشامي، من معين السيرة، ص ٣٤٥ وانظر: أبو شهبة، السيرة النبوية، ٤١٤/٢.

٤) انظر: الشامي، المرجع السابق، ص ٣٤٥.

٥) انظر: الشامي، من معين السيرة، ص ٣٤٤ .

٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (ك ٦٧ ح ٣٩٦١) ١٥٣٨/٤

وسبي نساءهم وأخذ أموالهم وقوض سلطانهم في شبه الجزيرة، فلم يعد لهم شأن يذكر ، بل أذعنوا لسلطان الإسلام وسطوته وأمن ﷺ جانبهم(١) يدل على ذلك مارواه أبو داوود عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قاتل أهل خيبر فغلب على النخل والأرض، وألجأهم إلى قصرهم، فصالحوه على أن لرسول الله ﷺ، الصفراء والبيضاء والحلقة ولهم ماحملت ركابهم.... الحديث»(٢).

ثم أبقاهم ﷺ لاستصلاح الأرض ، على أن ليس لهم فيها ملك ، ومتى شاء أن يخرجهم أخرجهم(٣) ولذلك أجلاهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٤) فقد روى أبو داود عن عمر رضي الله عنه. قال : «أيها الناس ! إن رسول الله ﷺ، كان عامل يهود خيبر، على أنا نخرجهم إذا شئنا، فمن كان له مال فيلحق به، فإني مخرج يهود، فأخرجهم».(٥).

إذ أن مصلحة الدولة الإسلامية، توجب إلزام كل عدوٍ ظاهر العداوة بالخضوع لسلطانها، والقضاء على قوته، حتى لا يكون مصدرٍ خطرٍ يهددها.

---

١) انظر: أبو شهبة، السيرة النبوية، ١٣٨٩/٢ . وانظر : محمد دروزه، سيرة الرسول ﷺ ، ٢٠٥/٢

٢) محمد ناصر الألباني، صحيح سنن أبي داود، (٣٠٠٩/٢٤) ٥٨٣/٢، ٥٨٤

٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٢٥٦/٨

٤) انظر : ابن حجر، فتح الباري، ٢٥٦/٨

٥) الألباني، صحيح سنن أبي داود، (٣٠٠٧/٢٤) ٥٨٢/٢

المبحث الرابع : أسلوب التأليف

من الحكمة التي يراعيها الداعية الى الله أن يسلك سُبلاً تربطه بالناس، وتؤثر في قلوبهم، فالنفوس، قد جعل الله لها مداخل وخاصية، وذلك أنها تفتح قلوبها لمن يأتيها من الزوايا التي تريحها، وتقترب لمن يتألفها ويستميلها(١) ومهمة الداعية الحكيم أن يمتلك مفاتيح تلك القلوب، ليعرف من أين يدخل إليها ليجد الاستجابة (٢) ومن هذه السبل أن يوثق الدّاعية علاقاته بأصحاب الرأي والتوجيه من الناس، لما في ذلك من أثر نفسي لكلمة الداعية، وسرعة لقبول دعوته، وكل هذه السبل مجتمعة، في إحسان الداعية الى مدعويه فالقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، وقد اجتمعت هذه السبل في دعوته ﷺ، فقد كان يتعامل مع كل بحسبه فيعطي محبي المال شيئاً يتألف به قلوبهم، ويتعامل مع حديثي العهد بالإسلام ، بما يرسخ الايمان في قلوبهم(٣) فتجده ﷺ يؤلف القلوب ببذل العطاء العظيم، كما فعل ﷺ في حنين، بعد أن أغنمه الله أموال هوازن فآثر اناساً من المؤلفة قلوبهم من صناديد قريش وغيرهم ممتثلاً قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى

---

١) انظر : جمعة أمين عبدالعزيز، الدعوة قواعد وأصول، ص ١٢٣.

٢) انظر : منير محمد الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ١/٢٣.

٣) انظر : عبدالرحمن حسن حنبكه الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ١/١٩٦.

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(١)

فكان يعطيهم ﷺ ترغيباً لهم واستمالة لقلوبهم، فالترغيب يكون بكل ممكن، مثل أن يبذل الراعي لرعيته ما يرغبهم في العمل الصالح، من مال، وغيره(٢).

فأعطى ﷺ أناساً لازالوا على شركهم، مثل صفوان بن أمية إذ أعطاه ﷺ عطاء عظيما، فقد روى مسلم عن ابن شهاب قال: (غزا رسول الله ﷺ بحنين فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة)(٣).

فكيف كان أثر هذا العطاء على هذا الرجل المشرك؟

يصف بنفسه رضي الله عنه هذا الأثر فيقول: «والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني، وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني، حتى إنه لأحب الناس إلي»(٤) وهذا هو السر في ترغيبه ﷺ بعض الكفار بالمال لاعتناق الإسلام(٥).

وممن آثر ﷺ بالعطاء يومئذ صناديد من العرب، أعطاهم يتألفهم ويتألف أقوامهم، فقد روى البخاري عن عبدالله - رضي الله عنه - قال: (لما كان يوم حنين، آثر النبي ﷺ أناساً في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الأبل،

---

١) سورة التوبة، الآية (٦٠)

٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٨/٣٦٩، ٣٧٠.

٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ماسئل النبي ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه، (ك ٤٣ ح ٢٣١١) ٤/١٨٠٦

٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل النبي ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثر عطائه، (ك ٤٣ ح ٢٣١٣) ٤/١٨٠٦

٥) أحمد عبدالرحمن البنا، الفتح الرباني ٩/٦٠

وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب، فآثرهم يومئذ في القسمة... الحديث)(١).

وحينما وجد عليه الأنصار - رضي الله عنهم - بين لهم ﷺ الحكمة من هذا الايثار فقال : «إني أعطي رجالاً حديث عهدهم بكفر»(٢).

وفي رواية : (إنى أعطي قريشاً أتألفهم لأنهم حديث عهدهم بجاهلية)(٣).

وفي حديث سعد - رضي الله عنه - : (إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه مخافة أن يكبه الله في النار)(٤).

يشير أنس - رضي الله عنه - إلى أثر هذا العطاء فيقول : (إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب اليه من الدنيا وما عليها)(٥) ففي هذه النصوص بيان أنه ﷺ كان يتألف أناساً في إيمانهم ضعف، لو لم يعطهم لكبّهم الله في النار(٦) وفيه دليل على جواز بذل المال، لأهل الجهالة

---

١) البخاري ، صحيح البخاري، كتاب الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم من الخمس ونحوه، (ك ٦١ ح ٢٩٨١) ١١٤٨/٣.

٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم، (ك ٦١ ح ٢٩٧٧)

٣) المرجع السابق، (ك ٦١ ح ٢٩٧٨) ١١٤٧/٣.

٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب تألف من يخاف على إيمانه لضعفه، والنهي عن القطع بالايمان من غير دليل قاطع، (ك١ ح ١٥٠) ١٣٢/١.

٥) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه، (ك ٤٣ ح ٢٣١٢) ١٨٠٦/٤.

٦) انظر : النووي، صحيح مسلم ، شرح النووي، ١٤٨/٧، ١٤٩

والقسوة وتألفهم، اذا كان في ذلك مصلحة(١) وتألف كل من يرجى بعطائه قوة إيمانه أو إسلامه أو إسلام قومه، أو شيء مما يحصل به الخير للمسلمين(٢).

ومن السبل التي كان يسلكها ﷺ في تألف مدعويه، الاحسان إليهم بالعفو والامتنان، وذلك من كمال حكمته ﷺ حيث كان يتألف الناس بما يعلم فيه صلاحهم، فإن كانوا ممن يؤثر المال تألفهم بالمال ، وإن كانوا سوى ذلك تألفهم بما يتناسب وحالهم، فكان ﷺ كثيراً ما يتألف بالعفو ممتثلاً قول الله عز وجل: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(٣) وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٤).

ومما يدل على ذلك من أفعاله ﷺ ، ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاة، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس في العضاة يستظلون بالشجر ، ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، فعلق بها سيفه، قال جابر: فنمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئناه، فإذا عنده أعرابي جالس،

---

١) انظر : المرجع السابق، ١٤٦/٧

٢) انظر : الفخر الرازي، التفسير الكبير، ١١١/١٦ وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، ٣٦٥/٢ وانظر: السعدي، تفسير الكريم الرحمن، ٢٥٢/٣ وانظر : الكيا الهراسي، أحكام القرآن، ٢١١/٤،٣.

٣) سورة الأعراف الآية (١٩٩)

٤) سورة فصلت، الآية (٣٤)

فقال رسول الله ﷺ : «إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً، فقال لي : من يمنعك مني؟ قلت : الله : فها هو ذا جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ»(١).

ففي هذا العفو والمن ، دليل على شدة رغبته ﷺ في استئلاف الكفار ليدخلوا في الإسلام(٢).

وقد كانت نتيجة هذا العفو كما يرغب ﷺ ، حيث أسلم الرجل ورجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير(٣).

ويدل على تألفه بالعفو أيضا، كريم عفوه وعظيم منة على ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة، حيث قال : «أطلقوا ثمامة»(٤) فانقلب بغض هذا الرجل المشرك حباً، وعداوته صداقة، فأسلم وحسن إسلامه، وذلك لما أسداه إليه النبي ﷺ من العفو والمن بغير مقابل(٥) ويشير النووي إلى الحكمة النبوية في هذا العفو والملاطفة فيقول : (هذا من تأليف، القلوب وملاطفة لمن يرجى اسلامه من الأشراف، الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير)(٦).

وبعد فتح مكة أعلن عليه الصلاة والسلام العفو عن عامة أهل مكة، وهم

---

١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، (ك ٦٧ ح ٣٩٠٥) ١٥١٥/٤.

٢) انظر : ابن حجر، فتح الباري، ١٩٣/٨

٣) انظر : ابن حجر، المرجع السابق ١٩٣/٨

٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، (ك ٦٧ ح ١٤١٤) ١٥٨٩/٤، ١٥٩٠.

٥) انظر : ابن حجر، فتح الباري، ٤٢١/٨

٦) النووي، صحيح مسلم، شرح النووي، ٨٩/١٢.

الذين عرفوا فيما بعد بالطلقاء، لمنه ﷺ عليهم فلم يعاقبهم ﷺ عملاً بقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾(١) وقال: نصبر ولا نعاقب «مختاراً العفو والصبر، تفضلاً وإحتساباً»(٢) فكانت عاقبة ذلك إسلام كثير من هؤلاء الطلقاء.

ومن السبل التي سلكها ﷺ تأليف القلوب بالمصاهرة(٣) فقد روى الإمام أحمد عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، وكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، قالت فو الله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت، فدخلت عليه فقالت يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي، قال فهل لك في خير من ذلك؟ قالت ما هو يارسول الله ؟ قال أقضي كتابتك وأتزوجك، قالت نعم يارسول الله، قال قد فعلت قالت وخرج الخبر إلى الناس، أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ ، فأرسلوا ما بأيديهم، قالت

---

١) سورة النحل، الآية (١٢٦).

٢) أحمد المسند ٦/٥/١٣٥ والألباني في صحيح سنن الترمذي وقال الحاكم ٢/٢٥٩ «هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه».

٣) انظر: محمد رضا، محمد رسول الله ﷺ ، ص ٤٤٨.

فلقد أعتق بتزويجه إياها، مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها(١). فأعتق الناس سباياهم إكراماً لها، لأنها صارت من أمهات المؤمنين(٢) فظهرت حكمته ﷺ في هذه المصاهرة، وهي تأليف هذه المرأة وتأليف قومها على الإسلام، فحينما سارع أصحابه - رضي الله عنهم - باعتاق ما في أيديهم، وقالوا أصهار رسول الله ﷺ دعاهم ذلك إلى الايمان بالله ورسوله لما رأو من الكرم وحسن الخلق(٣).

---

١) أحمد بن عبدالرحمن البنا، الفتح الرباني، ١٤/١٠٩، ١١٠ وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/١٨٥، ١٨٦

٢) انظر: أحمد البنا، الفتح الرباني، ١٤/١١٠

٣) انظر: الشيخ محمد محمود الصواف، زوجات النبي ﷺ الطاهرات وحكمة تعددهن، ص ٧٤، وانظر: د. عبدالناصر توفيق العطار، تعدد الزوجات، ص ١٤١

الفصـــل الرابـــع

التـــدرج في الدعـــوة باعتبـــار المدعـــو

وفيه تمهيد وأربعة مباحث

المبحـــث الأول : البدء بالأقربين .

المبحـــث الثاني : التعرف على المدعوين .

المبحـــث الثالث : العناية بذوي المكانة .

المبحـــث الرابع : عرض الدعوة على عموم المدعوين.

تمهيد

بعد أن بيّنت التدرج في الدعوة باعتبار الموضوع، عقيدة وشريعة، وذلك في الفصل الأول، ثم بينت التدرج في الوسيلة ، في الفصل الثاني ، وذكرت في الفصل الثالث، كيف تدرج ﷺ في الأسلوب ، بقي أن نبين كيف كان ﷺ يتدرج في الدعوة، باعتبار المدعوين وهذا ما سوف أبينه في هذا الفصل إذ قسمته إلى أربعة مباحث.

المبحث الأول : البدء بالأقربين .

المبحث الثاني : التعرف على المدعوين .

المبحث الثالث : العناية بذوي المكانة .

المبحث الرابع : عرض الدعوة على عموم المدعوين.

وسأتناول هذه المباحث فيما يلي بشيء من التفصيل فأقول مستعينا بالله.

المبحث الأول : البدء بالأقربين

حثّ الله تعالى في كتابه الكريم، على دعوة الأهل، وخصّهم بذلك في أكثر من موضع فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ ﴾(١).

يقول ابن كثير : (قال الضحاك ومقاتل، حق المسلم أن يعلّم أهله، من قرابته وإمائه وعبيده، ما فرض الله عليهم، وما نهاهم الله عنه)(٢).

وقال تعالى أمراً نبيه ﷺ : ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا ﴾(٣) فأول واجبات الرجل، أن يحول بيته إلى بيت مسلم(٤) وهذا ما فعله عليه الصلاة والسلام، فقد إبتدأ بعرض الدعوة على زوجته خديجة فقص عليها ما رأى من بدء الوحي، ثم قال لقد خشيت على نفسي ، فكان لها السبق في الاستجابة لدعوته، وتأنيسه وتيسيره عليه وتهوينه لديه(٥) مما دل على كمالها، وجزالة رأيها، وقوة نفسها، وثبات قلبها وعظم فقهها (٦) - رضي الله عنها - وعرض دعوته على صديقه

---

١) سورة التحريم، الآية (٦)

٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣٩١/٤

٣) سورة طه، الآيه (١٣٢)

٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢٣٥٧/٤

٥) ابن حجر، فتح الباري، ٣٧/١

٦) مسلم، صحيح مسلم، شرح النووي، ٢٠٢/٢

أبي بكر - رضي الله عنه - فآمن به ، وصدق برسالته، دون تردد، وقد بين ذلك ﷺ بقوله : «إن الله بعثني اليكم فقلتم : كذبت، وقال أبو بكر صدقت، وواساني بنفسه وماله ..»(١).

وعرض دعوته على ابن عمه الغلام علي بن أبي طالب، ومولاه زيد بن حارثة، فآمنا وصدقا، فكان لهؤلاء الأربعة السبق إلى الإسلام، فعلي أول من أسلم من الغلمان وخديجة أول من أسلمت من النساء، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار رضي الله عنهم أجمعين(٢).

والمقصود بيانه أنه ﷺ إبتدأ بعرض الدعوة على أهله أولاً، فدعا زوجته وصديقة وربيبه ومولاه ثم دعا الأقربين ممتثلاً قول الله عز وجل : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾(٣).

فأمره تعالى بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه، ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداءة، ثم من يليه، وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم(٤) ذلك لأن الاهتمام بشأنهم، أولى وهدايتهم إلى الحق أقدم(٥) فهم أحق الناس بالاحسان الديني

---

١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قول النبي ﷺ : «لو كنت متخذا خليلاً» (ك ٦٦ ح ٣٤٦١) ٣/١٣٣٩

٢) انظر : ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/٢٨، ٢٩

٣) سورة الشعراء، الآية (٢١٤)

٤) الزمخشري، الكشاف، ٣/٢٣١

٥) الشوكاني، فتح القدير، ٣/١٢٠

والدنيوي(١).

وقد قدم بن القيم رحمه الله، مرتبه دعوة الأقربين، فجعلها بعد النبوة، مما دل على أهمية البداءة بهم، وتقديم دعوتهم على الآخرين(٢).

وقد عمل جاهداً ﷺ، بعد نزول هذه الآية على دعوة أقربيه وإنذارهم، فقد روى البخاري - رحمه الله - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين» صعد النبي ﷺ الصفا، فجعل ينادي: «يابني فهر، يابني عدي .. لبطون قريش ... الحديث»(٣).

وروى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: لما أنزلت هذه الآية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً، فعمّ وخصّ، فقال يابني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار ... الحديث»(٤).

والنكتة في ندائه للقبائل قبل عشيرته ليكرر إنذار عشيرته، ولدخول قريش كلها في أقاربه(٥) ومما يدل على دخول قريش كلها في أقاربه، ما رواه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ فقال ابن عباس عجلت لم يكن

---

١) ابن سعدي تيسير الكريم الرحمن، ٥/٥٥١

٢) انظر: ابن القيم، زاد المعاد، ١/٨٦

٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب وأنذر عشيرتك الأقربين، ٤/١٨١٩

٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، (ك ١ ح ٣٤٨) ١/١٩٢

٥) ابن حجر، فتح الباري، ٩/٤٥٢

بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة ...»(١).

واستمر ﷺ ينذر أقربيه، أولاً ويدعوهم إلى الله تعالى، والسر في ذلك أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا كانوا علة للأبعدين في الامتناع(٢) فلما ظهر من جملتهم الإصرار على الكفر والعناد، ومنعوه من تبليغ دعوة ربه، انتقل إلى الطائف، ودعاهم إلى الله، ثم عاد إلى مكة، وبدأ يعرض دعوته على القبائل، بعد أن يتعرف عليهم.

ويستفاد من هذا التدرج مع المدعو، الالماح الى درجات المسؤولية التي تتعلق بكل مسلم، وبالدعاة خصوصاً، فأدنى تلك الدرجات، مسؤوليته عن نفسه، ثم عن ذوي قرباه، ثم عن قومه، وهكذا(٣).

---

١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله : ﴿إلا المودة في القربى﴾، (ك ٦٨ ح ٤٥٤١) ٤/١٨١٩

٢) انظر : ابن حجر، فتح الباري، ٩/٤٥٢.

٣) انظر: د. محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية، ص ١١٣، ١١٤

المبحث الثاني : التعرف على المدعوين

خلق الله الإنسان من أصل واحد، فأبوهم آدم وأمهم حواء، عليهما السلام، ثم جعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا (١).

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٢).

قوله لتعارفوا أي لتعلموا، كيف تتناسبون، ولتتعرفوا (٣). يقول القرطبي : (خلق الله الخلق بين الذكر والأنثى، أنساباً وأصهاراً، وقبائل وشعوباً، وخلق لهم منها التعارف، وجعل لهم بها التواصل)(٤) فبالتعارف يحصل التواصل، فيرجع كل إلى قبيلته، ويعرف قرب القرابة منه وبعدها(٥) فدلت الآية على أن معرفة الأنساب مطلوبة مشروعة، لأن الله جعلهم شعوباً وقبائل لأجل ذلك(٦).

ولقد حث ﷺ، على التعرف على المدعوين بفعله، فقد كان يبدأ مدعويه بالتعرف عليهم، قبل دعوتهم فلنتأمل ما ترويه لنا كتب السيرة حيال ذلك. يذكر ابن اسحق أنه ﷺ في رحلته إلى الطائف ، وحينما ألجأته ثقيف إلى حائط

---

١) انظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢١٧/٤، وانظر: الشنقيطي ، أضواء البيان، ٦٣٥/٧

٢) سورة الحجرات، الآية (١٣)

٣) الزمخشري، الكشاف، ٣٧٥/٤

٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٢١٧/٤

٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢١٧/٤ ، وانظر: الجصاص، أحكام القرآن، ٢٩٢/٥

٦) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ١٣٩/٧

لعتبة وشيبة ابنا ربيعة التقى بغلام لهما، اسمه «عداس» فماذا دار بينهما من حوار(١)؟.

يقول ابن اسحق : (فقال له رسول الله ﷺ : ومن أي أهل البلاد أنت ياعداس؟ وما دينك؟ قال نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى)(٢).

فبدأه ﷺ بالتعرف على بلاده وديانته، فكان هذا التعرف نقطة البداية في تحول هذا الرجل من دينه إلى دين الإسلام(٣).

وحينما عاد ﷺ إلى مكة، وأمره الله بعرض نفسه على القبائل، كان يأخذ معه نسابة قريش، أبو بكر الصديق(٤) - رضي الله عنه - ليقوم بمهمة تعريفه بالمدعوين، فالتقيا بوفد فسألهم ابو بكر من القوم ؟ قالوا : من ربيعة(٥) فتعرفا عليهم، أولاً ثم عرض عليهم إيواء النبي ﷺ ثانياً، ومما يدل على بداءته ﷺ بالتعرف، مارواه جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - قال : كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول : ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي ، قال فأتاه رجل من بني همدان، فقال : (ممن أنت ؟ قال : من همدان، قال : فعند قومك منعة ؟ قال : نعم ...)(٦).

---

١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٤٨،٤٩
٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٤٩
٣) انظر: المرجع السابق، ٢/٤٩
٤) انظر : ابن كثير، السيرة النبوية، ١/٤٣٧
٥) انظر : ابن حجر، فتح الباري ٧/٦٢٤
٦) أحمد، المسند، ٣/٣٩٠ والترمذي في سنن الترمذي، ٥/١٨٤، الحاكم، مستدرك الحاكم على الصحيحين ٢/٦١٢،٦١٣ وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

فبدأ بالتعرف عليه، ثم طلب منه المنعة، لكن الرجل خشي أن يخفره قومه، فوعده قابلاً.

وحينما التقى ﷺ بوفد يثرب، بدأهم بسؤاله : «من أنتم ؟ قالوا من الخزرج، قال أفلا تجلسون أكلمكم، قالوا نعم(١).

فكان هذا التعرف مبدأ الحوار معهم، حيث عرض عليهم دعوته المباركة فأسلموا، ودعوا أقوامهم، فلم يبق دار من دور الأنصار، إلا وفيها ذكره ﷺ(٢).

وبعد أن هاجر ﷺ إلى المدينة، استمر يتعرف على مدعويه من الوفود وغيرهم، قبل عرض الدعوة عليهم، من ذلك قوله ﷺ لوفد عبد القيس، حين قدموا عليه : «من القوم أو من الوفد» ؟ قالوا : ربيعة قال : «مرحبا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى»(٣).

وحين قدم عليه مبعوث «هرقل» بجواب رسالته ﷺ ، وهو في تبوك - بدأه بقوله : «ممن أنت؟» يقول ، فقلت : أنا أحد تنوخ ، قال : «هل لك في الإسلام، الحنيفية ملة أبيك ابراهيم»(٤).

فتعرف عليه ﷺ قبل أن يعرض عليه الإسلام، فلما عرفه دعاه إلى الإسلام.

---

١) انظر : ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٥٤

٢) انظر : ابن حجر، فتح الباري، ٧/٦٢٤

٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الايمان، باب أداء الخمس من الإيمان، (ك ٢ ح ٥٣) ١/٢٩

٤) أحمد البنا، الفتح الرباني، ٢١/١٩٩

هذه الشواهد بينت مدى حرصه ﷺ على التعرف على من يدعوهم، قبل أن يعرض الدعوة عليهم، فما الحكمة ياترى من هذا التعرف ؟

المدعو هو الإنسان في قديم الزمان وحديثه ، ولكل إنسان بلا شك خصائصه وطبيعته وتقاليده ، فالمدعوون ليسوا سواء ، في ملكاتهم العقلية، واستعداداتهم الفطرية، ولا في أخلاقهم وطباعهم وتصوراتهم ، ولا في مكاناتهم الاجتماعية(١).

فمن الحكمة في التعرف على المدعوين ، إنزالهم منازلهم ، وقد أشار ابن حجر إلى هذه الحكمة بقوله : (قال بن أبي جمرة في قوله ، من القوم دليل على سؤال القاصد عن نفسه ، ليعرف فينزل منزلته)(٢) .

ومن الحكمة في التعرف على المدعوين ، تطييب نفوسهم ، وإزالة الوحشة عنها، وذلك بالترحيب بهم ، وملاطفتهم ، والثناء عليهم في وجوههم، إذا أمنت الفتنة(٣) ويدل على هذه الحكمة، قوله ﷺ لوفد عبد القيس : «مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى»(٤) قال صاحب الفتح الرباني : (قال ابن أبي جمرة بشرهم بالخير عاجلاً وآجلاً ، لأن الندامة إنما تكون بالعاقبة فإذا انتفت ثبت ضدها)(٥).

---

١) انظر : التهامي نقره، سيكلوجية القصة في القرآن، ٤٢٢/١

٢) ابن حجر، فتح الباري، ١٧٩/١

٣) انظر : ابن حجر، المرجع السابق، ١٧٩/١

٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الايمان، باب أداء الخمس من الإيمان، (ك ٢ ح ٥٣) ٢٩/١

٥) أحمد بن عبدالرحمن البنا ، الفتح الرباني، ٧١/١

ومن الحكمة في التعرف على المدعو إتاحة الفرصة للداعية في معرفة خصائصه، وعرفه، وطبائعه، وطرق التأثير فيها، وكيفية الوصول إلى إقناعها(١).

ألا ترى أنه ﷺ، حينما رأى سيد الأحابيش قادماً عليه وهو في الحديبية، قال: «هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له» فبعثت له واستقبله الناس يلبون(٢).

فبمعرفته ﷺ لطبيعة هذا الرجل وتقاليده استطاع إقناعه بيسر وسهولة، حيث عاد الرجل وهو يقول: (سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت)(٣).

إذاً معرفة المدعو وتقاليده وموافقته فيما يميل إليه ويهواه، من المباحات، عامل مهم في استمالته إلى دين الإسلام، روت عائشة رضي الله عنها، قالت: (رأيت النبي ﷺ يسترني، وأنا أنظر إلى الحبشة، وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم عمر، فقال النبي ﷺ: (دعهم أمناً بني أرفدة) يعني من الأمن(٤).

فلم يعنف عليهم، ﷺ تطيباً لنفوسهم، واستمالة لها إلى الإسلام.

---

١) انظر: د. عبدالغني محمد سعد بركه، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجاً، ص ٢٢.
وانظر: د. محمد حسين الذهبي، مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث، ص ٩

٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، ٢/٩٧٦

٣) البخاري، صحيح البخاري، المرجع السابق، ٢/٩٧٦

٤) البخاري، صحيح البخاري، كاب المناقب، باب قصة الحبش، وقول النبي ﷺ: (بابني أرفدة)، (ك ٦٥ ح ٣٣٣٧) ٣/١٢٩٨، ١٢٩٩.

المبحث الثالث : العناية بذوي المكانة

ذوو المكانة هم الكبراء، وهم السادة والأشراف من الناس(١) وهم الملأ الذين أشار الله تعالى إليهم في غير ما موضع من كتابه الكريم .

وقد حث الله الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم لهذا الصنف بالرفق واللين والتلطف والتدرج ، في بيان الحق لهم ، قال تعالى مخبراً عن موسى وهارون عليهما السلام: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾(٢) فأمرهما الله بدعوة فرعون، بكلام رقيق لين سهل ، ليكون أوقع في النفوس ، وأبلغ وأنجح(٣) ولما في ذلك من التأثير في الإجابة(٤) ذلك أن الكلام الذي فيه شدة وخشونة بادىء ذي بدء، من أعظم أسباب النفرة، وعدم الاستجابة ، والتصلب في الكفر(٥) لا سيما إذا كان المدعو من الكبراء، الذين تغلب عليهم صفة الكبر والتجبّر(٦).

وبعد تعرفه ﷺ على المدعوين، كان يولي ذوي المكانة منهم عناية خاصة، بل لقد كان يولي كبراء قومه، عناية خاصة، لمكانتهم في أقوامهم، ومما يدل على ذلك، ما رواه ابن كثير: (اجتمع عليهُ من أشراف قريش ... فبعثوا

---

١) انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، ٢٤٣/٣

٢) سورة طه، الآيتين، (٤٣،٤٤)

٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣ /١٥٣

٤) انظر: الشوكاني، فتح القدير، ٣ /٣٦٦

٥) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، ٢٢ /٥٨ وانظر: الشوكاني، فتح القدير، ٣ /٣٦٦

٦) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير، ٥٨/٢٢

اليه إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك. فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بدو، وكان حريصاً يحب رشدهم ، ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم)(١).

وهكذا كان موقفه ﷺ مع عمه أبي طالب، وهو كبير قريش، حيث كان يقول له : «.... وأنت أي عم، أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني، إليه وأعانني عليه»(٢).

وكذلك كان موقفه ﷺ مع عتبه بن المغيرة، وهو أحد سادات قريش ، بل هو رئيسها وفيلسوفها وريحانتها(٣) فقد أظهر ﷺ من العناية، به والتلطف في دعوته، ما جعله يعود بغير الوجه الذي جاء به(٤) ومما يدل على مكانته في قريش، قولهم صبا أبو الوليد لتصبوّن قريش كلها(٥).

بل كان يبدأ بعرض الدعوة، على ذوي المكانة، من الأشراف والسادة، يقول ابن اسحق: (لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم .... فدعاهم إلى الله)(٦).

ثم لما عاد ﷺ إلى مكة ، كان لا يسمع بقادم يقدمها من ذوي المكانة

---

١) ابن كثير، السيرة النبوية، ١/ ٤٧٨،٤٧٩
٢) ابن هشام ، السيرة النبوية، ٢٢٩/١
٣) انظر: ابن تيمية ، مجموع الفتاوى، ٣٤٣/١٢ وانظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ٣٧٣/١٩
٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٣٩/١٥
٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٧٣/١٩
٦) ابن هشام ، السيرة النبويه، ٤٧/٢،٤٨

والشرف، إلا تصدى له، فدعاه إلى الله، وعرض عليه ما عنده(١).

ثم بدأ يعرض دعوته على وفود العرب، في موسم الحج وأسواق العرب وكانت مناسبات هامة للالتقاء بذوي المكانة من رؤساء العرب(٢) وكان يصطحب معه نسابة قريش أبا بكر الصديق رضي الله عنه(٣) ليقوم بمهمة تعريفه بذوي المكانة والشرف من هؤلاء الوفود فيبدأهم بعرض الدعوة عليهم(٤).

و «مصعب بن عمير» وهو أحد تلامذته ﷺ ، ومبعوثه إلى يثرب ، ليقوم بمهمة الدعوة والتعليم ، هذا الداعية أظهر عناية عظيمة بذوي المكانة، من الأشراف والسادة ، في المجتمع المدني، فقد إستفاد من « أسعد بن زرارة» رضي الله عنه وهو من ذوي المكانة في قومه، حيث نزل ضيفاً عليه، وأخذ يصطحبه في جولاته الدعوية ، ليقوم بمهمة تعريفه بذوي المكانة والشرف ليوليهم عناية خاصة في الدعوة(٥) فحينما دخلا حائط بني عبد الأشهل، وأقبل عليهما أسيد بن حضير لزجرهما، (فلما رآه « أسعد بن زرارة» قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه، قد جاءك، فاصدق الله فيه)(٦).

وحينما أسلم « أسيد بن حضير» وانضم إلى سلك الدعوة، قال لهما مبيناً

---

١) انظر : ابن هشام، السيرة النبويه، ٥٢/٢
٢) انظر : الدكتور مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص ٢٤١، ٢٤٢.
٣) انظر : ابن كثير، السيرة النبوية ، ٤٣٧/١
٤) انظر: د. زيد بن عبدالكريم الزيد ، وقفات دعوية في رحلة سفير الدعوة الأول مصعب بن عمير إلى المدينة، ص ٣٦
٥) انظر: المرجع نفسه، ص ٢٧، ٢٨
٦) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٥٩/٢

مكانة «سعد بن معاذ» في قومه : (إن ورائي رجلاً ، إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ)(١) فلما أقبل سعد، قال أسعد بن زرارة لمصعب : (أي مصعب ، جاءك والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان)(٢).

فكان لهذه العناية بهذين الرجلين، الأثر البالغ حيث أسلم باسلامهما جميع دور بني عبد الأشهل(٣).

ويبين ﷺ الحكمة في العناية بذوي المكانة بقوله : (لو آمن بي عشرة من اليهود، لآمن اليهود)(٤).

يقول ابن حجر : (والذي يظهر أنهم الذين كانوا حينئذ رؤساء في اليهود ومن عداهم كان تبعاً لهم)(٥).

فهؤلاء العشرة الذين هم من علماء اليهود ورؤسائهم، والذين يقتدي بهم اليهود، لو أسلموا لقادوا سائرهم الى الإسلام(٦) ، وتأمل موقفه ﷺ مع سيد أهل اليمامة - ثمامة بن أثال رضي الله عنه - يتبين لك مدى عنايته ﷺ بذوي المكانة من الأشراف والسادة، الذين يرجى باسلامهم اسلام أتباعهم،

---

١) ابن هشام، المرجع السابق، ٢/ ٥٩
٢) ابن هشام، السيرة النبويه ،٢/٥٩
٣) انظر: ابن هشام، المرجع السابق ، ٢/٦٠
٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب اتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة (ك ٦٦ ح ٣٧٢٥) ٣/١٤٣٤
٥) ابن حجر، فتح الباري، ٧ ص ٦٩٥
٦) أنظر : أحمد البنا، الفتح الرباني، ١٠٢/١

يقول ابن حجر، مبيناً فائدة جليلة في عناية الرسول ﷺ بثمامة : (وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه، إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولا سيما من يتبعه على إسلامه، العدد الكثير من قومه)(١).

وفي هذا الصدد يعلّق النووي قائلاً : (هذا من تأليف القلوب، وملاطفة لمن يرجى إسلامه من الأشراف، الذين يتبعهم على اسلامهم خلق كثير)(٢).

وقد صلّى عليه الصلاة والسلام، على رأس المنافقين عبدالله بن أبي، واستغفر له، إلى أن نهي عن ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾(٣).

فما السر في عنايته ﷺ بهذا الرجل، وهو من أكبر أعداء الدعوة، في عهدها المدني؟

يشير ابن حجر إلى السر في ذلك بقوله : (قال الخطابي : إنما فعل النبي ﷺ مع عبدالله بن أبي ما فعل، لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين، ولتطييب قلب ولده عبدالله، الرجل الصالح، ولتألف قومه من الخزرج لرياسته فيهم)(٤).

ولو تأملت رسائله ﷺ في الدعوة إلى الإسلام، لوجدتها تصدّر لمن لهم

---

١) ابن حجر، فتح الباري، ٤٢١/٨

٢) النووي، صحيح مسلم، شرح النووي، ٨٩/١٢

٣) سورة التوبة، الآية (٨٤).

٤) ابن حجر، فتح الباري، ٢٣٥/٩

المكانة والتعظيم من قبل أقوامهم: "من محمد رسول الله إلى عظيم الروم"(١) والمراد من تعظمه الروم، وتقدمه للرياسة عليها(٢).

فدل على عنايته ﷺ بذوي المكانة والرياسة، وتقديمهم في الدعوة، والمخاطبة، ويشير ابن تيمية إلى نكتة في هذا الشأن فيقول : (وطالب الرئاسة - ولو بالباطل - ترضية الكلمة التي فيها تعظيمه وإن كانت باطلاً، وتغضبه الكلمة التي فيها ذمه، وإن كانت حقاً)(٣).

ومما يدل على عنايته ﷺ بهذا الصنف من المدعوين، أنه كان يجزل العطاء لبعض ضعفاء الإيمان، ممن لهم المكانة في أقوامهم، ويعلل ذلك بقوله : (إنه رأس قومه، فأنا أتألفهم به)(٤).

وهكذا فعل ﷺ في حنين ، وقد دانت له العرب فقد أجزل العطاء لبعض ذوي المكانة من الأشراف والسادة، فقد روى البخاري - رحمه الله - (لما كان يوم حنين، آثر النبي ﷺ أناسا في القسمة : فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينه مثل ذلك ، وأعطى أناساً من أشراف العرب، فآثرهم يومئذ في القسمة..)(٥).

---

١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، (ك ٦٨ ح ٤٢٧٨) ١٦٥٧/٤

٢) ابن حجر، فتح الباري ، ٨٦/٩

٣) ابن تيمية، مجموع فتاوى، ٥٩٩/١٠

٤) انظر: ابن حجر، فتح الباري ، ١١٤/١

٥) البخاري ، صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، (ك ٦١ ح ٢٩٨١) ١١٤٨/٣

فآثر ﷺ هؤلاء السادة بهذا العطاء، ترغيباً لهم ولأقوامهم في الإسلام، لما لهم من مكانة وسيادة، تجعل أقوامهم تبعاً لهم(١).

---

١) انظر : أحمد البنا، الفتح الرباني ، ٦٢/٩

المبحث الرابع : عرض الدعوة على عموم المدعوين

لم يأل جهداً ﷺ في عرض دعوته على كل من يلقاه وتبليغها لكل أحد عملاً بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾(١).

فاتسمت بعثته ﷺ بالعمومية ورسالته بالشمول لجميع البشر لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(٢) ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(٣).

ويدل على ذلك من السنة مارواه البخاري عن جابر بن عبد الله : أن النبي ﷺ قال : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي - وفيه - وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة»(٤).

وحيث قد بعث ﷺ في أمة جاهلية يعبدون الأصنام ويشركون بالله تعالى فاقتضت الحكمة أن يبدأ بالدعوة إلى الإسلام ثم لما تكونت الجماعة المسلمة بدأ ﷺ يدعوهم ويربيهم التربية الإسلامية الأصيلة.

وفيما يلي التفصيل حول عرض دعوته ﷺ على غير المسلمين ثم دعوته للمسلمين

---

١) سورة المائدة، الآية (٦٧).
٢ سورة سبأ، الآية (٢٨).
٣) سورة الأعراف، الآية (١٥٨).
٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب قول الله تعالى ﴿فإن لم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً (ك ٧ ح ٣٢٨) ١٢٨/١.

أولاً : دعوة غير المسلمين .

لم تشغله ﷺ العناية بذوي المكانة عن دعوة الآخرين فقد كان ﷺ يدعو كل من لقيه إلى الإسلام قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٢)

يقول القرطبي : (قال قتادة يعني قريشاً) كانوا أمه أمية لم يأتهم نذير من قبل محمد ﷺ(٣).

وقيل العرب قاطبة الذين لم يزالوا خالين من الكتب، عادمين للرسل، قد عمتهم الجهالة وغمرتهم الضلالة(٤) فكان ﷺ في مبدأ بعثته يدعو كل من لقيه إلى الإسلام فقط ، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين .. جعل النبي ﷺ يدعوهم قبائل قبائل»(٥) وروى مسلم في حديث اسلام عمرو بن عبسة رضي الله عنه وفيه : «فقلت إني متبعك قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس ؟ ولكن ارجع إلى أهلك فإذا

---

١) سورة ابراهيم، الآيتين (١،٢).
٢) سورة السجدة، الاية (٢).
٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، ١٣/٨٥.
٤) انظر : السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٦/٣٣٤
٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الاسلام أو الجاهلية ، (ك ٦٥ ح ٣٣٣٥) ٣/١٢٩٨.

سمعت بي قد ظهرت فأتني»(١). فاكتفى منه ﷺ بالاسلام دون المتابعة وكذلك فعل ﷺ مع أبي ذر رضي الله عنه حيث قال له : «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري» (٢) فكان ﷺ في هذه الفترة الزمنية المتقدمة من البعثة يدعو إلى الإسلام فقط فكان لا يسمع بأحد قادم مكة إلى تصدى له ودعاه إلى الاسلام(٣) وحين قدم سويد بن الصامت إلى مكة حاجاً أو معتمراً تصدى له ﷺ ودعاه إلى الاسلام(٤) وكذلك فعل مع وفد بني عبد الأشهل حينما قدموا يلتمسون الحلف من قريش على الخزرج فجاءهم ﷺ ودعاهم الى الإسلام(٥).

واستمر ﷺ بعد هجرته يدعو إلى الإسلام فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «بينا نحن في المسجد خرج رسول الله ﷺ فقال : «انطلقوا إلى يهود فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس فقام النبي ﷺ فناداهم فقال : «يامعشر يهود أسلموا تسلموا » فقالوا بلغت يا أبا القاسم قال : فقال لهم رسول الله ﷺ: «ذلك أريد أسلموا تسلموا...»(٦) يقول ابن حجر : (وجه ذلك أنه بلغ اليهود ودعاهم إلى

---

١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وحصرها، باب اسلام عمرو بن عبسة (ك ٦ ح ٨٣٢) ٥٦٩/١

٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفضائل، باب اسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه (ك ٦٦ ح ٣٦٤٨) ١٤٠١/٣

٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٥٢/٢.

٤) انظر : ابن هشام ، المرجع السابق، ٥٣/٢.

٥) انظر: ابن هشام، المرجع السابق، ٥٤/٢.

٦) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قوله تعالى : ﴿وكان الانسان أكثر شيء جدلاً﴾، (ك ٩٩ ح ٦٩١٦) ٢٦٧٤/٦، ٢٦٧٥

الاسـلام والاعتصـام به)(١)وكان بعد هجرته ﷺ يشترط على كل من يسلم الهجرة إلى المدينة فما الحكمة في هذا الاشتراط ؟

يشير ابن حجر إلى الحكمة في ذلك فيقول : (كانت الهجرة فرضاً في أول الإسلام على من أسلم لقلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع)(٢) فدل على أن الهجرة كانت عيناً على كل من أسلم قبل الفتح لنصرة الاسلام وإكثار سواد المسلمين(٣) فلما فتح الله مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً سقط فرض الهجرة إلى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية(٤) قال ﷺ : «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية..»(٥) أي لا هجرة إلى المدينة أما أصل الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الاسلام فهذا قائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها(٦).

ثانياً : دعوة المسلمين

كما كان ﷺ يدعو طيلة العهد المكي إلى الإسلام فقد كان طيلة هذا

---

١) ابن حجر ، فتح الباري، ١٥/٢٥٣.
٢) ابن حجر، فتح الباري ٦/١٢٢.
٣) انظر : ابن حجر، فتح الباري ، ٦/١٢٠
٤) ابن حجر، المرجع السابق، ٦/١٢١
٥) البخاري ، صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب وجوب النفير ومايجب من الجهاد والنية، (٦٠ ح ٢٦٧٠) ٣/١٠٤٠
٦) ابن حجر، المرجع السابق، ٨/٦٣٥

العهد يربي من يدخل الإسلام التربية الايمانية الحقة ، فقد استطاع ﷺ في هذه الفترة أن يربي عدداً من أصحابه ويكون منهم جماعة متميزة بعقيدتها وسلوكها، وهدفها في الحياة(١) يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويطهرهم من أخلاق الجاهلية وعاداتها بترسيخ الايمان في نفوسهم تدريجياً كلما نزل شيء من القرآن(٢) قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (٣) وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ (٤) وقد بينت كتب السيرة اهتمامه ﷺ البليغ بتربية من استجاب للدعوة والعمل على تزكيتهم وتربيتهم على هدى الإسلام، لبناء قاعدة إسلامية صلبة للدولة المسلمة وذلك عن طريق تعليمهم دينهم وتطبيق الإسلام في حياتهم، وتعميق معاني الأخوة فيما بينهم وحثهم على تحمل الأذى، والصبر في سبيل الدعوة(٥) يدل على ذلك مارواه البخاري عن خباب بن الأرت قال : (شكونا إلى رسول الله ﷺ ، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ قال : «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له

---

١) انظر : محمد شديد، منهج القرآن في التربية، ص ٩.
٢) انظر : محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٣/١٤٠
٣) سورة الجمعة، الآية (٢).
٤) سورة آل عمران، الآية (١٦٤).
٥) انظر: محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص ٨٣

الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه... الحديث»)(١) فدل الحديث على عنايته ﷺ بتعليمهم وتأديبهم وإعدادهم(٢).

فكان من خريجي هذه المدرسة النبوية العظيمة من قام بواجب الدعوة والتبليغ خير قيام أمثال جعفر بن أبي طالب ومصعب بن عمير وغيرهما رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وبعد هجرته ﷺ إلى المدينة لم تنقطع هذه التربية فاتخذ ﷺ المسجد مقراً لدعوته ﷺ حيث يلتقي بأصحابه يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم ما شرع الله لهم من الشرائع ويحثهم على التواصي بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٣) مهتدياً بقوله سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(٤) وكان عليه الصلاة يتخولهم بالموعظة خشية السآمة يدل على ذلك مارواه البخاري عن بن مسعود قال : (كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا)(٥) يبين ابن حجر فائدة هامة في هذا الحديث فيقول :

---

١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الاسلام، (ك ٦٥ ح ٣٤١٦) ١٣٢٢/٣

٢) انظر : علي بن جابر الحربي، منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية، ص ٣٩٩

٣) انظر : محمد الشديد، منهج القرآن في التربية، ص ١١

٤) سورة الحج ، الآية (٤١)

٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات ، باب الموعظة ساعة بعد ساعة (ك ٨٣ ح ٦٠٤٨) ٢٣٥٥/٥

(وفيه رفق النبي ﷺ بأصحابه وحسن التوصل إلى تعليمهم وتفهيمهم ليأخذوا عنه بنشاط لا عن ضجر ولا ملل).(١).

---

١) ابن حجر ، فتح الباري، ٥٣٢/١٢

الفصـــل الخامـــس

الحكمة من التدرج في الدعـــوة

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث

المبحـث الأول : تهيئة النفوس للسماع

المبحث الثاني : قبول النفوس للحق

المبحث الثالث : ترسيخ الإسلام في النفوس

تمهيد

بعد أن بينت في الفصول السابقة تدرجه ﷺ في الدعوة باعتبار الموضوع توحيداً وشريعة، وباعتبار الوسيلة والأسلوب، وباعتبار المدعوين بقي أن أبين الحكمة من هذا التدرج الحكيم وهذا ما سوف أتناوله بإذن الله في هذا الفصل وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تهيئة النفوس للسماع.

المبحث الثاني : قبول النفوس للحق .

المبحث الثالث : ترسيخ الإسلام في النفوس

وفيما يلي التفصيل في هذه المباحث

المبحث الأول : تهيئة النفوس للسماع

بالتدرج في الدعوة، تتهيأ النفوس للسماع، فالحجة لا تقوم على المدعوين إلا بالسماع(١) ولذا أمر الله تعالى رسوله ﷺ بإجارة المستجير من المشركين، لأن في إجارته تهيئة لنفسه للسماع، فقال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾(٢) فأوجب سبحانه كف القتال عمن أظهر الرغبة في سماع كلام الله(٣) بل جعل الغاية من إجارته إسماعه كلام الله(٤) ليكون كلام الله أول ما يقرع سمعه فيقع من نفسه موقع التمكن، وبذلك تقوم عليه الحجة(٥).

وإذا فلا ضير من إعطاء الفرصة للمشركين لكي تتهيأ نفوسهم لسماع القرآن ومعرفة هذا الدين، لعل قلوبهم تتفتح وتتلقى وتستجيب، فتزكوا تلك القلوب، وتطيب تلك النفوس ، فالنفوس الطيبة تتفتح للقول الطيب، وتتلقاه وتستجيب له(٦).

وقد فعل ﷺ ذلك فقد كان يهيء نفوس المشركين للسماع، فحينما جاءه عتبة بن ربيعة، لمفاوضته ﷺ هيأ نفسه للسماع أولاً بقوله : «قد فرغت يا أبا

---

١) انظر: ابن تيمية، التفسير الكبير، ٣٣/٦

٢) سورة التوبه، الآية (٦)

٣) انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ١٧٧/١٠

٤) انظر: ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ١١٩/١٠

٥) انظر: المرجع السابق، ١١٨/١٠

٦) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ١٦٠٢/٣ وانظر : المرجع السابق، ٣٠٤٥/٥

الوليد.. قال نعم فقال : «يابن أخي فاسمع»(١).

ولا يخفى على أحد ما في هذه الملاطفة والتكنية من تهيئةٍ للنفس للسماع، وحين اتكأ على يديه وقال أسمع، أسمعه ﷺ صدراً من سورة فصلت(٢).

ونجد مصعب بن عمير، وهو مبعوثه ﷺ للدعوة، يبدأ بتهيئة نفوس مدعويه للسماع، فحينما جاءه كل من زعيمي بني عبد الأشهل، أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ - رضي الله عنهما - كان يبدأهما بعرض السماع أولاً ، فيقول: «أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكرهه»(٣).

وبهذه الملاطفة والعرض المنصف، هيأ نفسيهما للسماع ، فلما سمعا أسلما، وأسلم أقوامهما(٤).

وتأمل موقفه ﷺ مع ثمامة بن أثال - رضي الله عنه - حيث أبقاه مربوطاً في سارية في المسجد ثلاثة أيام، وقد أكرمه ﷺ غاية الإكرام ثم منّ عليه، فكان لهذا التعامل أثره في تهيئة نفسه لسماع القرآن، ورؤية النبي ﷺ، ومعرفة تعامله مع أصحابه ، فانقلب بغضه للرسول ﷺ حباً ، في ساعة واحدة(٥).

ومما كان يهيء به ﷺ النفوس للسماع، الترحيب بالقادم والتلطف معه

---

١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٣٨/١٥

٢) انظر: المرجع السابق، ٣٣٨/٥، ٣٣٩

٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ٥٩/٢

٤) انظر : المرجع السابق، ٦٠/٢

٥) انظر : ابن حجر، فتح الباري، ٤٢١/٨

وتأنيسه والثناء عليه، كما فعل ﷺ مع وفد عبد القيس، حيث أثنى عليهم وأخبر أنهم خير أهل المشرق، فاستقبلهم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وبشرهم بذلك، ثم بعد وصولهم، رحب بهم ﷺ وآمنهم(١) حيث قال لهم : «مرحباً بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى»(٢).

فدل ذلك على أن الاهتمام بالمدعوين مدخل طبيعي إلى نفوسهم(٣) وله أثره في تلقي النفوس للحق وقبوله(٤) وبالتدرج في الدعوة ، تظهر أهمية مراعاة العوامل النفسية لدى المدعوين(٥) وبهذا الاهتمام وتلك المراعاة، تتهيأ نفوسهم لسماع الحق ومن ثَمّ قبوله.

---

١) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ١/١٧٨، ١٧٩

٢) سبق تخريجه، انظر : ص ١١٢ من هذا البحث.

٣) إنظر: د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، وظيفة الاخبار في سورة الأنعام، ص ٤٥٩

٤) انظر: المرجع السابق، ص ٢٥٢

٥) انظر: المرجع السابق، ص ٢٥٧، ٢٥٨

المبحث الثاني : قبول النفوس للحق

النفوس المستمعة أصناف، منها المعرض الممتنع، ومنها من سمع ولم يفقه المعنى، ومنها من فقه ولم يقبل، ومنها من سمع سماع فقه وقبول(١) وهذا الأخير، هم الذين تتهيأ نفوسهم للقبول، وقد ذكرهم الله بقوله : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾(٢) وبشرهم وأثنى عليهم بقوله سبحانه: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾(٣) وبشرهم ﷺ وأثنى عليهم بقوله: «نضّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه، حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه، إلى من هو افقه منه، ورب حامل فقه، ليس بفقيه»(٤). هذا الصنف المستمع سماع فقه وقبول، هم الذين تدرج الشارع في دعوتهم، فكانت التشريعات الالهية والتوجيهات النبويه، تتدرج في تهيئة نفوسهم للقبول شيئاً فشيئاً.

تصف أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - هذا التدرج فتقول: (... إنما نزل أول ما نزل منه - أي القرآن - سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام ، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لاتشربوا الخمر، لقالوا : لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل : لا تزنوا،

---

١) انظر: ابن تيمية، التفسير الكبير، ٣١٢/٦

٢) سورة المائدة، الآية (٨٣)

٣) سورة الزمر الآيه (١٨)

٤) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، ٤٤/١، ٤٥

لقالوا : لا ندع الزنا أبداً... الحديث)(١) .

لا شك أن الحكمة في هذا التدرج الحكيم، تهيئة النفوس للقبول، وإلى ذلك يشير ابن حجر في قوله : (... فلما اطمأنت النفوس على ذلك، أنزلت الأحكام، ولهذا قالت : (ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندعها) وذلك لما طبعت عليه النفوس، من النفرة عن ترك المألوف)(٢).

ويفهم من هذا أن عدم التدرج، لا يؤدي إلى القبول، بل يؤدي الى النفرة غالباً، وقد أشار جماعة من العلماء إلى هذا بقولهم: (إن الله تبارك وتعالى لعظم حكمته في التشريع، إذا أراد أن يشرع أمراً شاقاً على النفوس، كان تشريعه له على سبيل التدرج، لأن إلزامه بغته في وقت واحد، من غير تدريج، فيه مشقة عظيمة، على الذين كلفوا به)(٣) وبالتالي فلا تتهيأ نفوسهم لقبول ذلك التشريع وقد أشارت إلى ذلك أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بقولها: (ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندعها)(٤).

فدل على أن التدرج، يهيء النفوس للقبول والتلقي وقد بين ابن حجر ذلك بقوله: (وكذلك تعلّم العلم، ينبغي أن يكون بالتدريج، لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً ، حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط...)(٥).

---

١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، (ك ٦٩ ح ٤٧٠٧) ٤/١٩١٠

٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١٠/٤٨

٣) الشنقيطي، أضواء البيان، ٥/٧٠٠

٤) البخاري، صحيح البخاري، (ك ٦٩ ح ٤٧٠٧) ٤/١٩١٠

٥) ابن حجر، فتح الباري، ١/٢٢٠

ذلك أن ترك التشديد، على من قرب إسلامه، في الابتداء، والتلطف في الزجر عن المعاصي، يهيء النفوس للقبول(١) .

هذا ما كان يفعله ﷺ مع مدعويه، وقد شهد بهذا أحد الصحابه الكرام إذ يقول رضي الله عنه : (... فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فو الله ماكهرني *(٢) ولا ضربني، ولا شتمني قال: (إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن)(٣) يقول النووي : (فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق، الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته بأمته، وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه ﷺ ، في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه، واللطف به ، وتقريب الصواب الى فهمه)(٤).

والنفوس التي سمعت ولم تقبل، كان ﷺ يهيؤها للقبول بشيء مما تحبه النفوس، كالعطاء أو غيره، يدل على ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه « أن النبي ﷺ غزا غزوة الفتح، ثم خرج بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية، مائة من الغنم، ثم مائة، ثم مائة. قال صفوان : والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما

---

١) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ١/٢٢٠

٢) *الكهر: القهر والانتهار، انظر : الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، ٢/١٣٥

٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، (ك ٥ ح ٥٣٧) ١/٣٨١

٤) مسلم، صحيح مسلم، شرح النووي ٥/٢٠

أعطاني وإنه لأبغض الناس إلى، فما زال يعطيني، حتى إنه لأحبّ الناس إلى)(١).

فصفوان - رضي الله عنه - ممن سمع كثيراً ولم يقبل ولكن حينما أعطاه النبي ﷺ هذا، العطاء كان ذلك سبباً في قبوله وتغير مشاعره نحو الرسول ﷺ، ونحو الإسلام، يدل على ذلك قول أنس - رضي الله عنه - : (إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها)(٢).

---

١) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا وكثرة عطائه، (ك ٥ ح ٥٣٧) ٣٨١/١

٢) مسلم، المرجع السابق، (ك ٤٣ ح ٢٤١٢) ١٨٠٦/٤

المبحث الثالث : ترسيخ الإسلام في النفوس

إن قبول النفوس للحق، واتعاظها بالمواعظ يؤدي لا شك إلى رسوخها في الحق وثباتها عليه يدل على ذلك قوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾(١).

ذكر الفخر الرازي في هذا التثبيت ثلاثة أوجه :-

١) أن ذلك أقرب إلى ثباتهم عليه، واستمرارهم، لأن الطاعة تدعو إلى أمثالها.

٢) أن يكون أثبت وأبقى لأنه حق ، والحق ثابت باق والباطل زائل .

٣) أن الانسان يطلب أولاً تحصيل الخير، فإذا حصّله يطلب أن يصير ذلك الحاصل ثابتاً باقياً(٢).

وتظهر لنا حكمة التدرج، في ترسيخ هذا الدين في النفوس في الوجه الثالث من هذا القول حيث البدء بطلب الخير ثم طلب بقائه وثباته.

وإنما كان العمل، وإتيان الأمور الموعوظ بها، في الدين، يزيد العامل قوة وثباتاً، لأن الأعمال هي التي تطبع الأخلاق والملكات في نفس العامل، وتبدد

---

١) سورة النساء، جزء من الآية (٦٦)

٢) الفخر الرازي ، التفسير الكبير، ١٦٨/١٠

المخاوف والأوهام من نفسه(١) ولا يكون ذلك إلا بالتدرج، ذلك أن العبد القائم بما أمر به، لا يزال يتمرن على الأوامر الشرعية، حتى يألفها، ويشتاق إليها، وإلى أمثالها، فيكون ذلك معونة له على الثبات على الطاعات(٢) بل تكون عاقبته غالباً طلب الازدياد بخلاف ضده(٣).

هذا الثبات على الطاعات يدعوه إلى أن يجود بنفسه، حين يجد أنه قد تجاوز تلك الأوامر الشرعية، وارتكب ما يوجب حداً من حدود الله، روى البخاري عن جابر بن عبدالله الأنصاري : (أن رجلاً من أسلم، أتى رسول الله ﷺ ، فحدثه أنه قد زنى، فشهد على نفسه أربع شهادات ، فأمر به رسول الله ﷺ فرجم..)(٤) فانظر كيف أدّى به هذا الثبات، إلى الإصرار على طلب التطهير، بإقامة الحد عليه، ولم يرجع عن قراره مع إمكانه الرجوع(٥) ومما يدل على أن التدرج يؤدي بصاحبه إلى الازدياد ما رواه أصحاب السنن من طريق أبي ميسرة، عن عمر أنه قال : اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافياً فنزلت الآية التي في البقرة ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ فقرئت عليه، فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافيا، فنزلت الآية التي في النساء ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ فقرئت عليه، فقال اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت التي في

---

١) انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٥/٢٤٣

٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٢/٩٥

٣) ابن حجر، فتح الباري، ١/٢٢٢٠

٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم المحصن، (ك ٩٠ ح ٦٤٢٩) ٦/٢٤٩٨، ٢٤٩٩

٥) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ١٤/٨٤

المائدة ﴿ فَٱجْتَنِبُوهُ - إلى قوله - تُفْلِحُونَ ﴾ فقال عمر: انتهينا انتهينا(١) وأريقت الخمر حتى جرت في سكك المدينة(٢).

---

١) أحمد بن حنبل، المسند، ٥٣/١ ، أبو داوود، سنن أبي داوود، كتاب الأشربة، باب في تحريم الخمر ٧٩/٤، الترمذي، جامع الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة ج٣٠٤٩، ٢٥٣/٥.

٢) انظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٩٣/٢.

الفصـــل الســـادس

التدرج في الدعوة في العصر الحاضر

وفيه تمهيد وثلاثة مباحـث

المبحـــث الأول : التدرج في الدعوة إلى الموضوع

المبحـث الثاني : التدرج في الدعوة باعتبار الوسيلة والأسلوب

المبحـث الثالث : التدرج في الدعوة باعتبار المدعو

تمهيد :

هذا الفصل يتضمن إجابة بعض علمائنا الأفاضل، عن بعض الأسئلة المتعلقة بالتدرج في الدعوة، موضوعاً ووسيلة وأسلوباً ومدعواً ، وقد بذلت ما أستطيع من جهد فتكبدت مشقة السفر من أجل لقاء هؤلاء العلماء، والاستفادة من إجاباتهم، وبذلت جهداً كبيراً في طرح الأسئلة على عدد منهم، حفظهم الله جميعاً، وقد أجابني بعضهم مشكوراً، واعتذر بعضهم الآخر ، لانشغالهم ، وعدم تيسر الوقت للأجابة عن الأسئلة، وهم معذورون ومشكورون، واستفدت من بعض كتابات العلماء والدعاة المعاصرين في مؤلفاتهم، التي تعرضت لموضوع الدعوة ، وقد بينت في هذا الفصل التدرج في الدعوة في العصر الحاضر، وذلك في الدعوة إلى الموضوع، وباعتبار الوسيلة والأسلوب، وباعتبار المدعو ، وذلك من خلال إجابة من أجابني من العلماء عن تلك الأسئلة المطروحه، وجمعت إجاباتهم في شريط تسجيل محفوظ لدي ومن ثم فرغتها، وقد قسمت هذا الفصل ثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول : التدرج في الدعوة إلى الموضوع .

المبحث الثاني : التدرج في الدعوة باعتبار الوسيلة والأسلوب.

المبحث الثالث : التدرج في الدعوة باعتبار المدعو.

وفيما يلي التفصيل في هذه المباحث.

المبحث الأول : التدرج في الدعوة إلى الموضوع

أولاً : أهيمة البدء بالتوحيد

تقدم لنا أن موضوع الدعوة هو الدين الإسلامي، وأن أصل الدين الإسلامي بل أصل الاصول كلها، وأصل الأديان كلها، هو التوحيد، فقد بدأ به جميع الأنبياء بإختلاف أزمانهم وأمكنتهم، فدل على أهمية البداءة به، في كل مكان وزمان، وقد اتفق العلماء على القول بذلك، يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مبيناً أهمية البدء بالتوحيد (فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كما يحدث إذا دخل الحدث في الطهارة، كما قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ﴾(١) (٢).

ويقول سيد قطب : (فالتوحيد هو القاعدة والأساس ، فإذا وضعت تلك القاعدة وأقيم الأساس ، جاءت التكاليف الفردية والاجتماعية، ولها في النفس ركيزة من العقيدة في الله الواحد)(٣). ويقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز : (فإنه ﷺ لما بعثه الله بدأ الناس بالدعوة إلى التوحيد في مكه، وترك الشرك، هذا أول شيء يبدأ به، قبل كل شيء يدعو الناس إلى توحيد الله ، ونبذ آلهتهم المعبوده من دون الله ، من أشجار وأحجار وأصنام وغيرها، ولهذا لما بعث

---

١) الشيخ عبدالرحمن بن قاسم الدرر السنيه ١٧/٢.

٢) سورة التوبة الآية (١٧).

٣) سيد قطب في ظلال القرآن ٢٢٢١/٤ .

معاذا إلى اليمن قال له «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى أن شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»(١) فأمره أن يدعوهم إلى توحيد الله - أهل اليمن - قبل الصلاة وقبل غيرها ، فدل ذلك على أن الدعوة إلى أصل الدين مقدمة ، ثم بعد ذلك يتدرج بدعوتهم ، الى الصلاة والزكاة وبقية أمور الدين، ولهذا قال له بعده «فإن أطاعوك لذلك ، فاعلمهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن اطاعوك لذلك فاعلمهم .... الخ)(٢).

ويقول فضيلة الشيخ محمد العثيمين : (الدعوة إلى الله مثل ما قال الرسول ﷺ لمعاذ : «ليكن أول ماتدعهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن أجابوك لذلك، فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليله، فإن أجابوك لذلك، فأخبرهم أن الله افترض عليهم صدقه في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم»(٣)..

فإذا كنا نريد أن ندعو كفاراً ، فلا بد أن ندعوهم كما أمر النبي ﷺ في حديث معاذ رضي الله عنه، وإذا أردنا أن ندعو شخصاً بعينه، فلننظر أيضاً هل هو كافر، فندعوه إلى أصل الإسلام ، ثم بعد ذلك نأمره بالصلاة، ثم بالزكاة، ثم بالصوم، ثم بالحج....)(٤).

---

١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين (ك ١ ح ١٩) ١/٥٠.
٢) مقابلة علمية معه في يوم الجمعة الموافق ٢٩/٤/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.
٣) مقابلة علمية معه في يوم الجمعة الموافق ٧/٥/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.
٤) مقابلة علمية معه في يوم الخميس الموافق ٢١/٤/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

ويقول فضيلة الشيخ صالح الفوزان : (فالتدرج في الدعوة معناه : الاتيان بالأهم فالأهم، وذلك بأن يبدأ أول شيء بالتوحيد : دعوة الناس إلى التوحيد وعبادة الله وحده، لأن هذا هو الأساس)(١).

فدلت هذه الأقوال على أهمية البدء بدعوة الناس إلى التوحيد، فلا يبدأ بدعوة المشرك إلى نوع من الشريعة ، كالنهي عن الزنا أو الربا أو نحوه ، قبل التوحيد، وفي ذلك يقول الشيخ صالح الفوزان : (أما التدرج المنهي عنه، فهو العكس. والذي يسير عليه بعض الدعاة في عصرنا الحاضر، وهو أن يبدأ بالأمور التي هي دون الشرك ، يبدأ بنهي الناس عن الزنا وعن الكبائر وأكل الربا وغير ذلك، ويترك جانب العقيده ولا يهتم به، فهذا عكس دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأيضاً هو لا يثمر ولا يفيد، لأنه حتى لو ترك الناس هذه الكبائر وتعاملوا بالأخلاق الفاضلة والمعاملات المباحة، مع بقاء الشرك فيهم، فإن هذه الأعمال لا تنفعهم، لأنهم بنوا على غير أساس صحيح، بينما لو أن الإنسان حقق التوحيد وتجنب الشرك، ووقع منه بعض الكبائر وبعض المعاصي، فإنه لا يخرج بذلك من الإيمان، وترجى له المغفرة، وهو تحت المشيئة، قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(٢).

وقال تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ

---

١) مقابلة علمية معه في يوم الجمعة الموافق ٧/٥/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

٢) سورة النساء الآية (٤٨).

وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾(١) (٢).

لكن لا بأس أن يظهر الداعية في تعامله مع المشرك، ما يجذبه إلى الإسلام، مثل زيارة الجار المشرك، والإحسان إليه، والإهداء إليه، أو معاملته بالأخلاق الفاضلة، والمعاملة الحسنة، وفي هذا يقول سماحة الشيخ بن باز: (ولكن لو أنّ إنساناً رأى، أو داعية من الدعاة رأى، أن يدعوه إلى حضور مجالس العلماء، لعله ينشرح صدره، أو يدعوه إلى بر الوالدين، وصلة الأرحام، ويقول له إن الإسلام جاء بهذا، لعله يميل إلى الإسلام، إذا رأى منه نفوراً، وعدم رغبة إلى أن يسلم، يدعوه إلى أشياء، لعلها ترغبه في الأسلام فلا بأس عليه وليس في ذلك شيء ومافي ذلك مخالفة)(٣).

ثانياً: التدرج في الدعوة إلى الشريعة

لا شك أن الشريعة الإسلامية جاءت على أساس مراعاة مصالح الناس، ودفع المفاسد عنهم(٤) فاقتضت هذه المراعاة التدرج في الدعوة إلى هذه الشريعة يقول فضيلة الشيخ صالح الفوزان: (هذا التدرج باق عند الحاجة إليه، ولا شك أن الشارع تدرج في تشريع الأحكام رحمة بالناس، وترغيباً لهم في القبول، ومن ذلك تدرجه في شريعة الصيام، وتدرجه في تحريم الخمر، وذلك من

---

١) سورة النساء الآية (٣١).
٢) مقابلة علمية معه في يوم الجمعة الموافق ٧/٥/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.
٣) مقابلة علمية معه في يوم الجمعة الموافق ٢٩/٤/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.
٤) انظر: د عبدالكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ص ٩٣.

أجل الرحمة بالناس. وعدم المشقة عليهم، وهذا التدرج مطلوب عند الحاجة إليه في كل زمان)(١) ويقول سيد قطب - رحمه الله - : (إن تلك الأحكام المرحلية ليست منسوخة، بحيث لا يجوز العمل بها في أي ظرف من ظروف الأمة الإسلامية، بعد نزول الأحكام الأخيرة في سورة التوبة. إنك أن الحركة والواقع الذي تواجهه في شتى الظروف والامكنة والأزمنة، هي التي تحدد - عن طريق الاجتهاد المطلق - أي الأحكام هو أنسب للأخذ به، في ظرف من الظروف، في زمان من الأزمنة. في مكان من الامكنة ، مع عدم نسيان الأحكام الأخيرة، التي يجب أن يصار إليها، متى أصبحت الأمة المسلمة في الحال التي تمكنها من تنفيذ هذه الأحكام، كما كان حالها عند نزول سورة التوبة، وما بعد ذلك أيام الفتوحات الإسلامية، التي قامت على أساس من هذه الأحكام الأخيرة النهائية، سواء في معاملة المشركين أو أهل الكتاب)(٢).

فالقاعدة إذاً في الدعوة إلى الشريعة مراعاة حال الدعوة والمدعو، زماناً ومكاناً، ذلك أن الشريعة الإسلامية، جاءت على أساس مراعاة مصالح الناس، ودفع المفاسد عنهم، وهذا هو الأصل الكبير الجامع لأحكام هذه الشريعة(٣).

فإذا كان المدعو مسلماً فإن المصلحة تقتضي إلزامه بأحكام الشريعة جملة دون تدرج، يقول سماحة الشيخ ابن باز : (الواجب على المسلمين أن يلتزموا بالجميع، من أسلم يلتزم بالجميع، من أسلم يعلم التوحيد، ثم يعلم جميع الشريعة

---

١) مقابلة علميه معه يوم الجمعة الموافق ٧/٥/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٣/١٥٨٠

٣) د. عبدالكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ص ٩٣

في الحال، حتى يلتزم بها كلها)(١) ويقول فضيلة الشيخ محمد العثيمين مبينا عدم التدرج في دعوة المسلمين إلى العمل بأحكام الشريعة : (مثلاً الخمر، لا نقول للناس أولاً : نرغبهم في تركها، ثم نحاولهم أن يتركوها، أوقات الصلاة، بل نقول لهم هي حرام، وندعوهم بالتي هي أحسن فننظر إلى حالهم وندعوهم على حسب حالهم(٢) ويقول فضيلة الشيخ صالح الفوزان : (فإذا كان الذي يشرب الخمر يعلم أنه محرم، ويعلم الوعيد عليه فهذا لا يحتاج إلى تدرج، لأنه يعلم هذا، وإنما يجب نهيه وزجره وإقامة الحد عليه، لأنه دخل في هذا الأمر وهو يعرف)(٣) ويقول الشيخ محمد الغزالي : (لكن لا نستطيع أن نقول : إن الذين يعملون للإسلام الآن يتدرجون في شرح الحقائق الاسلامية العلمية، لأن هذه الحقائق قد إكتملت، ومنذ نزول قوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ أصبحنا مكلفين بعرض الإسلام كله آية آية وسنة سنة)(٤).

وتقتضي الحكمة في دعوة المسلمين إلى الشريعة في هذا العصر مراعاة جوانب مهمة منها :

أولاً : مراعاة تأخير إنكار المنكر للحاجة قد يكون من باب إستعمال الحكمة في الدعوة إلى الله ، تأخير إنكار المنكر، فقد يكون هذا الرجل الفاعل للمنكر، لايناسب أن ننكر عليه في هذا الوقت بالذات، لكن سأحتفظ لنفسي بحق الإنكار

---

١) مقابلة علمية معه في يوم الجمعة الموافق ٢٩/٤/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

٢) مقابلة علميه معه في يوم الخميس الموافق ٢١/٤/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

٣) مقابلة علميه معه في يوم الخميس الموافق ٧/٥/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

٤) الشيخ محمد الغزالي، فقه الدعوة ملامح وآفاق ص ١٢٨.

عليه، ودعوته إلى الحق في وقت يكون أنسب، وهذا في الحقيقة طريق صحيح، فإن هذا الدين كما نعلم جميعاً بدأ بالتدرج شيئاً فشيئاً، فأقر الناس على ما كانوا يفعلونه من أمور، كانت في النهاية حراماً من أجل المصلحة ، فهذا الخمر مثلاً بين الله تعالى لعباده أن فيها إثماً كبيراً، ومنافع للناس، وأن إثمها أكبر من نفعها، وبقي الناس عليها حتى نزلت آخر آية فيها تحرمها بتاتاً) فإذا رأى إنسان من المصلحة أن لا يدعو هذا الرجل في هذا الوقت، أو في هذا المكان، ويؤخر دعوته في وقت آخر، أو في مكان آخر، لأنه يرى أن ذلك أصلح أو أنفع، فهذا لا بأس به)(١).

ثانياً : مراعاة جانب التدرج في الاستبدال : (لقد أشرنا في أول هذا الحديث إلى الخطة القرآنية في تغيير واقع الجاهلية : وما كان فيها من التدرج في ذلك التغيير، وهذا المنهج المتدرج هو عنصر أساسي في خطة التغيير في الظرف الراهن، وذلك لأن الحياة الإسلامية هي اليوم أشد تشابكا، وأكثر تعقيداً من أي وقت مضى، ولا يمكن بحال أن يمس جانباً من جوانبها دون أن يكون لذلك انعكاس على سائر الجوانب الأخرى، وهو ما يقتضي أن يكون لذلك التغيير في صوره من صوره مستلزماً لعمل تمهيدي في جوانب أخرى، حتى تتوفر عوامل النجاح في التغيير: فهل يمكن أن يستبدل اليوم هذا النظام الربوي المستفحل في المجتمع الإسلامي، بنظام لا ربوي، دون تمهيد بسلسلة من

---

١) محمد بن صالح العثيمين، الصحوة الإسلامية، ضوابط وتوجيهات، جمع وترتيب أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، ص ١٢١.

الاجراءات الاقتصادية، توفر المناخ الصالح لحصول هذا الاستبدال؟ وهل يمكن أن نطبق اليوم حد السرقة، دون أن نمهد لذلك بضمان اجتماعي، يحول دون تفشي السرقة بدافع الحاجة ؟! إن التغيير الفجائي، يحدث في الجسم الحي اضطراباً، قد تكون له آثار سيئة على صحة الجسم، والتدرج من الداء إلى العافية، في مراتب متعاقبة، هو سنة الله في خلقه.

على أن هذا التدرج لا ينبغي أن يكون متروكاً إلى الصدفه، بل ينبغي أن ينتظم في خطة مدروسة، هي من أكبر مهمات الفكر الواقعي، وتكون هذه الخطة ذات محورين متكاملين: تدرج في استبدال الصورة الواحدة، بالانتقال فيها من الأدنى إلى الأعلى حتى تبلغ التمام، وتدرج في استبدال مجموعة الصور، بتقديم ماهو أصل على ماهو فرع، تأسياً في ذلك بالرسول الكريم ﷺ حينما أنفق ثلاث عشر سنه في معالجة العقيدة ، ثم انتقل إلى معالجة ماهو فرع لها من السلوك العملي)(١).

ثالثاً - مراعاة جانب التدرج في التطبيق العملي لأحكام الشريعة، إذا اقتضت ضرورة الدعوة ذلك، والى هذا الجانب يشير الشيخ محمد الغزالي فيقول: (لكن بناء الدولة بعد نشر الدعوة، هذا لا بد فيه من التدرج، لأن البناء الذي انهدم على عدة قرون، لا يمكن أن يتم إعادة صرحه في خلال أسابيع، أو في خلال أعوام قليلة، ولذلك كان كبار المصلحين يقولون : الزمن جزء من العلاج، بمعنى أني لابد أن أقول : الحدود تقام، وما أقبل مماراة في حد، لكن عند

---

١) الندوة العالمية للشباب الاسلامي، الدعوة الاسلامية، الوسائل الخطط المداخل، ص ٢١، ٢٢، ٢٣

التطبيق لا بأس أن أشرع فوراً بحد الافتراء.. أو حد قطع يد السارق، لأن ذلك سهل، ويمكن إرجاء بعض الحدود إلى أن تواتيني فرصة التنفيذ .. فعلمياً أنا مكلف ببيان الإسلام كله، وعملياً لا بد أن أتدرج في التطبيق العملي، وهذا ما تفرضه أحوالنا التي لا بد منها، فالدواء الذي لا بد أن يتجرعه المريض ليصحو، أعطيه له جرعة جرعة(١).

يؤيد هذا من سيرته العطرة ﷺ ما فعله في صلح الحديبية، حيث أقسم عليه الصلاة والسلام أن لا يسأله المشركون خطة يعظمون فيها حرمات الله، إلا أعطاهم إياها، فقال: «والذي نفسي بيده ، لا يسألوني خطة، يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها .. الحديث»(٢) يقول ابن القيم - رحمه الله - في ذكر فوائد هذا الحديث: (ومنها أن المشركين، وأهل البدع والفجور، والبغاة والظلمة، إذا طلبوا أمراً يعظمون فيه حرمة من حرمات الله تعالى، أجيبوا إليه، وأعينوا عليه، وإن منعوا غيره)(٣) فلا بد من مراعاة ظروف الدعوة، بالأخذ ببعضها وترك بعضها الآخر إذا دعت ضرورة الدعوة إلى ذلك(٤).

أما إذا كان المدعو كافراً، فإن فضيلة الشيخ محمد العثيمين، يرى التدرج في دعوته إلى الشريعة فيقول : فإذا كنا نريد أن ندعو كفاراً، فلا بد أن

---

١) الشيخ محمد الغزالي ، فقه الدعوة ملامح وآفاق، ص ١٢٨.

٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط (ك ٥٨ ح ٢٥٨١) ٢/٩٧٤.

٣) ابن القيم، زاد المعاد، ٣/٣٠٣.

٤) انظر: زيد بن عبدالكريم الزيد، الحكمة في الدعوة إلى الله تعريف وتطبيق، ص ٨٢.

ندعوهم كما أمر النبي ﷺ ، في حديث معاذ رضي الله عنه ، وإذا أردنا أن ندعو شخصاً بعينه، فلننظر أيضاً، هل هو كافر ؟ فندعوه إلى اصل الإسلام، ثم بعد ذلك نأمره بالصلاة، ثم الزكاة، ثم الصوم، ثم الحج...)(١).

ولو اشترط هذا الصنف من المدعوين، ارتكاب بعض المخالفات الشرعية، مقابل إسلامه، مثل شرب الخمر مثلاً ، فإنه يتعامل معه وفق القاعدة الفقهية: (إذا تزاحمت المفاسد، واضطر إلى واحد منها، قدم الأخف منهما)(٢) فيقبل إسلامه ويقبل شرطه، يقول سماحة الشيخ ابن باز: (لا أعلم مانعاً، لأن شرب الخمر أسهل من بقائه على الكفر، يبين له التحريم، ويدعى له بالتوفيق، أنت إذا أسلمت إن شاء الله سوف تتركه فإن هذا خير له من بقائه على الكفر)(٣) ويقول فضيلة الشيخ محمد العثيمين : (ذهب العلماء أنه يقبل إسلامه فيقال له أسلم، ثم إذا أسلم بينا له الحكم الشرعي في ذلك)(٤) ويرى فضيلة الشيخ صالح الفوزان، هذا النوع من التدرج، بشرط أن يكون ذلك المدعو، جاهلاً بحكم ما يدعى إليه، من الشريعة فيقول: (إذا كان جاهلاً في تحريم الخمر، بأن نشأ في بلاد بعيدة عن بلاد الإسلام، أو في بادية، ويجهل تحريم الخمر، وقد ألفه كما ذكرنا في الجواب، واعتاده، فهذا يتدرج معه، ببيان مفاسد الخمر، ومضار الخمر، ويبين له ما ورد في القرآن والسنة، من التحذير من الخمر، ثم إذا علم هذا وقامت عليه الحجة، فإنه يمنع

---

١) مقابلة علميه معه في يوم الخميس الموافق ٢١/٤/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

٢) ابن سعدي ، القواعد والأصول الجامعة ، ص ٧٨

٣) مقابلة علميه معه في يوم الجمعة الموافق ٢٩/٤/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

٤) مقابلة علمية معه في يوم الخميس الموافق ٢١/٤/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

منه، وإذا فعله يقام عليه الحد)(١) فالمفاضلة بين الأعمال، والحث على أعلى المصلحتين، وتقديم أهون المفسدين، جاءت به آيات كريمة في كتاب الله تعالى(٢) قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾(٣)

فبين سبحانه، أن القتل وإن كان مفسدة، فهو أهون مما يفعله المشركون من فتنة المؤمنين، وصدهم عن سبيل الله، فقدم أهون المفسدتين، وهي القتل في الشهر الحرام، على الأخرى وهي الصد عن سبيل الله(٤).

---

١) مقابلة علميه معه في يوم الجمعة الموافق ٧/٥/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

٢) انظر: السعدي، القواعد الحسان لتفسير القرآن ص ١١٩.

٣) سورة البقرة، الآية (٢١٧).

٤) انظر: السعدي، القواعد الحسان، ص ١١٩، ١٢٠.

المبحث الثاني : التدرج في الدعوة باعتبار الوسيلة والأسلوب

بينت في صلب هذا البحث، أن النبي ﷺ ، اتخذ وسائل في تبليغ دعوته، فابتدأ بالقول، ثم لما هاجر إلى المدينة ، اتخذ وسيلة السرايا والغزوات، لحماية الدعوة، والزام أعدائها بالخضوع لها، ثم اتخذ وسيلة الكتب والرسائل، لتبليغ الدعوة خارج المحيط العربي، ثم اتخذ وسيلة البعوث، لتكون وسيلة دعوية تعليمية، وذلك في آخر حياته ﷺ ، وسلك ﷺ أساليب حكيمة في دعوته، فابتدأ باسلوب العرض في العهد المكي، ثم في بداية العهد المدني، اتخذ أسلوب الحماية ، لحماية الدعوة والدفاع عنها، ثم اتخذ أسلوب الإلزام، بعد أن هزم الله أعداءه، وظهرت قوته، فألزم من تبقى من أعداء الدعوة، بالخضوع لها، ثم اتخذ اسلوب التأليف، بعد أن أفاء الله عليه في حنين، والمتأمل لسيرته ﷺ العطره، يتبين له أن تلك الوسائل والأساليب، قد جاءت متدرجة خطوة خطوة، فهل يلزم الدعاة في هذا العصر، أن يتخذوا تلك الوسائل والأساليب بعينها؟ وأن يتدرجوا فيها؟ أم أنها خاصة به ﷺ ؟.

لا شك أن ظروف دعوته ﷺ ، تختلف عن ظروف الآخرين ، فهو عليه الصلاة والسلام، إنما يتلقى الوحي من الله تعالى، في كل شيء من أمور دعوته، ثم إنه ﷺ اتخذ تلك الوسائل والأساليب، وتدرج فيها مراعياً في ذلك ظروف الدعوة، المكانية والزمانية، وكان ﷺيقوم بهذا العمل، بصفته ولي أمر المسلمين في عصره ﷺ .

فالقاعدة إذاً، في اتخاذ الوسائل في الدعوة إلى الله ، خاضعة لظروف الدعوة والداعية، المكانية والزمانية، يقول فضيلة الشيخ محمد العثيمين : (يجب

أن نعرف قاعدة وهي، أن الوسائل بحسب المقاصد، كما هو مقرر عند أهل العلم، أن الوسيلة لها أحكام المقصد، ما لم تكن هذه الوسيلة محرمة، فإن كانت محرمة فلا خير فيها.

وأما إذا كانت مباحة، وكانت توصل إلى ثمرة مقصودة شرعاً، فإنه لا بأس بها، ولكن لا يعني ذلك، أن نعدل عن كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ وما فيهما من مواعظ، إلى ما نرى أنه وسيلة في الدعوة إلى الله، وقد نرى أن هذا وسيلة، ويرى غيرنا أنه ليس بوسيلة، ولهذا ينبغي للإنسان في الدعوة إلى الله، أن يستعمل الوسيلة التي يتفق الناس عليها، حتى لا تخدش دعوته إلى الله ، بما فيه الخلاف بين الناس(١)إذاً فليست تلك الوسائل التي اتخذها ﷺ توقيفية، وليست لازمة للدعاة من بعده، بل يراعي في ذلك الحال، يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز (الظاهر من الشرع المطهر، أن الدعاة يلزمهم ما يستطيعون، وما يرون أنه أقرب إلى النجاح حسب الحال. فإذا رأوا البداءة بالقول والتوجيه، ثم إذا قبل الإسلام، بين له احكام الشرع، وإذا رأوا أن الدعوة تكون بالمكاتبة دون المشافهة، ليبسطوا له القول في ذلك ، أو رأوا أن يبدأ بالقول والعمل جميعاً، فالمقصود أن عهد النبي ﷺ ليس مثل عهدنا، ففي عهد النبي ﷺ كان الوحي من الله جلا وعلا، يأمره أن يبقى على الدعوة فقط ، حتى شرع الله له الهجرة، وشرع

---

١) فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات جمع وترتيب أبو أنس علي بن حسين أبو لوز ص ٩٩.

الله بعد ذلك أشياء أخرى...)(١).

وكذلك الأساليب، التي سلكها ﷺ في دعوته ليست خاصة به ﷺ ، بل يفعل الدعاة إلى الله منها، ما يمكنهم فعله، وما فيه المصلحة، للدعوة إلى الله يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز (يعمل الداعي ما يستطيع من هذه الأساليب ولو بادر بالتأليف بالمال، فيعطيهم المال حتى يسلموا فالرسول ﷺ في مكه كان فقيراً وليس عنده مال حتى يعطيهم، فلما أفاء الله عليه في حنين انفق على الناس وتألفهم، فالحاصل أن الأمور الآن استقرت، أما في عهد النبي ﷺ فقد أخذ بالتدرج لعدم قدرته، ولأن ذلك في مقتضى المصلحة مع الكفار، لعجزه عن الجهاد، وعجزه عن المال، وقلة الأنصار، فلما كثر الأنصار، وتيسر المال، جاهد، وبذل المال، وتألف الناس، وقتل من قتل)(٢).

ويميل إلى هذا الرأي فضيلة الشيخ الفوزان : مبينا أن اتخاذ الأساليب في الدعوة إلى الله ، خاضع لمدى الحاجة إليها زماناً ومكاناً، فيقول : (قضية العرض والحماية، والإلزام والتأليف، هذه ليست من باب الترتيب، وإنما هي من باب العمل عند الحاجة، وهذا يختلف باختلاف الأحوال، واختلاف الناس، فإذا دعت الحاجة إلى البداءة بالبيان، فإنه يقتصر على البيان، وإذا دعت الحاجة إلى الحماية، بأن حصل عدوان على الدعوة، فإنه يبدأ بالحماية، وهكذا، فالأمور إنما

---

١) مقابلة علمية معه في يوم الجمعة الموافق ٢٩/٤/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

٢) مقابلة علمية مع سماحته في يوم الجمعة الموافق ٢٩/٤/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

تعمل عند الحاجة إليها، في كل زمان وفي كل مكان والله أعلم)[1].

ويستفاد من هذه الأقوال، أن القاعدة في اتخاذ الوسائل والأساليب الدعوية، هي مراعاة حال الدعوة زماناً ومكاناً.

---

1) مقابلة علمية معه في يوم الجمعة الموافق ٧/٥/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

المبحث الثالث : التدرج في الدعوة باعتبار المدعو

كما أن الأصل والقاعدة في اتخاذ الوسائل والأساليب الدعوية، مراعاة حال الدعوة زماناً ومكاناً، وهو ما فعله النبي ﷺ في دعوته، فإن الأصل في التعامل مع المدعو ، البدء بالأقربين ، وهو ما جاءت به الآيات القرآنية، وهو ما فعله النبي ﷺ ، حيث ابتدأ بدعوة الأقربين، وقد فصلنا القول في ذلك في موضعه، من هذا البحث(١).

وحيث أن المدعو هو الانسان في عصره ﷺ ، وفي كل عصر ، وقد ابتدأ ﷺ بدعوة الأقربين، بتوجيه من الله تعالى في قوله : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾(٢) وقضى فترة زمنية ليست بالقصيرة، يدعوهم إلى الله تعالى، وينذرهم عذابه، فدل هذا على أن البداءة بالأقربين، مستمرة في كل زمان.

يقول الشيخ صالح الفوزان : (هذا بلا شك ، أن الإنسان الداعية إلى الله يبدأ أول شيء بنفسه، يمتثل أوامر الله ، ويجتنب نواهي الله ، قبل أن يدعو الآخرين، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى عن نبيه شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ ﴾(٣) وكذلك الله جلا وعلا ، عاب على بني اسرائيل ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ

---

١) انظر : ص (١١٠-١١٣) من هذا البحث.

٢) سورة الشعراء، الآية (٢١٤).

٣) سورة هود، الآية (٨٨).

وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(١)ثم إذا فرغ الإنسان من أصلاح نفسه و استقامتها، فإنه يبدأ بأقرب الناس إليه، كما قال الله تعالى لنبيه : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾(٢) وقال تعالى للمؤمنين : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾(٣) وكما قال لنبيه ﷺ : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾(٤) وقال تعالى في حق إسماعيل عليه السلام : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾(٥) و الحكمة في البداءة بالأقربين (أن الإنسان إذا ذهب يدعو الناس وهو تارك لأقرب الناس إليه، ولأهله ولأهل بيته، فإن الناس سيقولون، لو كان ما يدعو إليه حقاً، لبدأ بمن هم أقرب الناس إليه، وسيحتجون عليه بأهله، وسيحتجون عليه بأهل بيته، وبأقاربه، ويقولون كيف تدعونا و أهلك يعملون كذا؟ وبيتك يعمل كذا؟ ويكون هذا من معوقات الدعوة، والله تعالى يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾(٦) فأمر بالبداءة بالذين يلون، ثم الذين من بعدهم، وهكذا تكون الدعوة إلى الله عز وجل، تدرج من النفس إلى الأقارب إلى العشيرة إلى الآخرين(٧).

---

١) سورة البقرة، الآية (٤٤).
٢) سورة الشعراء، الآية (٢١٤).
٣) سورة التحريم، الآية (٦).
٤) سورة طه، الآية (١٣٢).
٥) سورة مريم، الآية (٥٤).
٦) سورة التوبة، الآية (١٢٣).
٧) مقابلة علمية معه في يوم الجمعة الموافق ٧/٥/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

فالأصل إذاً في دعوة المدعوين، البدء بالأقربين أولاً، كما فعل ﷺ ، ثم التدرج بعد ذلك، لكن هذا البدء بالأقربين، إذا ترتب عليه ضرر للداعية، في نفسه، أو في دعوته، فإن البدء بهم لا يلزم، وإلى ذلك يشير سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز فيقول: (لايلزم ذلك، لكن إذا تيسر فهم أحق الناس ببره، وقد يكون عندهم شر، وعندهم نفور شديد فيضرونه، وقد تكون دعوة غيرهم أسهل عليه، وأقرب وقد يكون أيضاً بعضهم بعيداً عنه، وغيرهم أقرب إليه، فالمقصود أنه لا يلزمه أحد البداءة بأقرب الأقربين، إنما هو أفضل، إذا تيسر له البدء بالأقربين، لأنهم أحق الناس ببره وصلته وإحسانه، فإذا تيسر البدء بهم فحسن، ولكن لا يلزمه ذلك، وإذا لم يتيسر ذلك يدعو غيرهم والحمد لله)(١).

---

١) مقابلة علمية معه في يوم الجمعة الموافق ٢٩/٤/١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

الخاتمـــة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، على ما أنعم به علي من نعم عظيمة، ومن هذه النعم، كتابة هذا البحث.

وفي خاتمته أسأل الله سبحانه أن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به عباده الصالحين من الدعاة وغيرهم - ويجدر في نهاية هذا البحث بيان أهم ماتوصلت إليه من نتائج وأهم التوصيات التي أراها تستحق الذكر.

لقد طوف البحث في آفاق دعوة النبي ﷺ الكريمة ، موضوعها، ووسائلها، وأساليبها، ومدعوّيها، وقد تبين لي في ثنايا هذا البحث أهمية مراعاة الأولويات في الدعوة إلى الله أسوة برسول الهدى ﷺ ، حيث ابتدأ بالدعوة إلى التوحيد، ثم دعا إلى الشريعة، مراعياً الأولويات، والبدء بالمهم فالذي يليه.

كما تبين لي أهمية مراعاة الاستفادة من الوسائل، واتخاذ الأساليب المناسبة لظروف الدعوة، زماناً ومكاناً، كما فعل النبي ﷺ ، إذ ابتدأ بالقول، ثم السرايا والغزوات، ثم الكتب والرسائل، ثم الوفود والبعوث، فكان القول وسيلته الأساسية في العهد المكي، وكانت الوفود والبعوث وسيلته ﷺ في أواخر حياته.

واتخذ أساليب مناسبة لظروف الدعوة أيضاً، حيث ابتدأ بالعرض ، ثم الحماية، ثم الالزام، ثم التاليف.

وتبين لي في ثنايا هذا البحث، أهمية مراعاة أحوال المدعوين، وذلك بالتعرف عليهم، والعناية بذوي المكانة منهم، وما في هذه المراعاة من دواعي الاستجابة للداعية وقبول دعوته.

كما تبين لي في ثناياه، أن لهذا التدرج حكم عظيمة، أهمها: أنه ينتهي بالمدعو، إلى الرسوخ في هذا الدين والثبات عليه.

التوصيات

وإنني بعد أن انتهيت من كتابة هذا البحث لأجد هنالك بعض التوصيات التي تجدر الإشارة اليها والتنبيه إلى أهميتها وأهم هذه التوصيات مايلي :

١) أقترح عقد دورات للدعاة إلى الله - أسوة بدورات المبتعثين - يُبصّرون فيها الى الطريقة المثلى في الدعوة إلى الله، وأهمية مراعاة الأولويات في الدعوة أسوة بالنبي ﷺ ، وأهمية مراعاة الاستفادة من الوسائل المعاصرة، والتي لا تتعارض مع شرع الله في الدعوة ، واستخدام الأساليب المناسبة لظروف الدعوة المكانية والزمانية .

٢) أوصي بمزيد الاهتمام بجانب المدعوين، ولذا فإني أقترح ايجاد لجنة يشترك فيها عدد من أساتذة الدعوة في الجامعات في هذه البلاد، مهمتها السفر الى الدول الإسلامية، التي تكثر فيها البدع، ومن ثم التعرف على أحوال المدعوين هناك ، ثم العناية بذوي المكانة منهم ، الذين يتبعهم خلق كثير، وتيسير السبل أمام ابنائهم ، والعمل على إعطائهم الفرصة، لمواصلة

دراساتهم الشرعية في جامعات هذه البلاد، وربطهم بعلمائها، لما في ذلك من أثر في تصحيح عقائدهم، ومن ثم التأثير على أتباعهم.

٣) أوصي كذلك باختيار الدعاة المؤهلين للقيام بالمهمات الدعوية من الذين تتوفر فيهم الأمور التي أشرنا إليها خلال هذا البحث، ودعمهم وتيسير السبل الكفيلة بتوفير مايلزم لهم لنجاح دعوتهم، من أمور مادية ومعنوية، ليتم على يدهم تحقيق النجاح المؤمل للدعوة الإسلامية.

٤) أوصي الدعاة الى الله بمراعاة جانب التدرج في دعوتهم إلى تطبيق الأحكام الشرعية في العصر الحاضر، فمعالجة منع الربا مثلاً يحتاج الى نوع من التدرج في جانب الاستبدال والتدرج الزمني ، وكذلك غيره من الأمور المخالفة لشريعة الله لا بد من مراعاة التدرج في إزالتها والقضاء عليها، سيما الأمور التي تدرج الشارع في تحريمها.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

« الفهـــارس »

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

السورة	رأس الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة	أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم	٤٤	١٦٢-١٦٣
	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة	١٩٣	٩٧
	يسألونك عن الشهر الحرام	٢١٧	١٥٧
	ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه	٢٥٨	٨٩
آل عمران	زين للناس حب الشهوات	١٤	٤
	قل إن كنتم تحبون الله	٣١	٤٨
	هم درجات عند الله	١٦٣	٣١
	لقد منّ الله على المؤمنين	١٦٤	١٣٠
النساء	إن تجتنبوا كبائر ما تنهون	٣١	١٤٩ - ١٥٠
	أن الله لا يغفر أن يشرك به	٤٨	١٤٩
	وفضل الله المجاهدين	٩٥	٣١
	وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً	٦٣	٦٩
	ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به	٦٦	١٤٢
المائدة	ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله	٣٥	٣٧
	لكل جلعنا منكم شرعة ومنهاجاً	٤٨	٥٧
	إنما وليكم الله ورسوله	٥٥	٥٣
	وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول	٨٣	١٣٨

السورة	رأس الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك	٦٧	٢ - ١٢٦
الأنعام	وما نرسل المرسلين إلا مبشرين	٤٨ - ٤٩	٨٦
الأعراف	أعبدو الله ما لكم من إله غيره	٥٩-٦٥-٧٣-٨٥	٤٩
	قل ياأيها الناس إني رسول الله	١٥٨	١٢٦
	خذ العفو وأمر بالعرف	١٩٩	١٠٤
الأنفال	وقاتلوهم حتي لا يكون فتنة	٣٩	٩٧
	وأعدوا لهم ما استطعتم	٦٠	٧٣
التوبة	وإن أحد من المشركين استجارك	٦	١٣٥
	ما كان للمشركين أن يعمروا	١٧	٦٠ - ١٤٧
	إنما الصدقات للفقراء والمساكين	٦٠	١٠١ - ١٠٢
	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم	٧١	٥٣
	ما كان للنبي والذين آمنوا	١١٣	٥٣
	ولا تصلّ على أحد منهم مات	٨٤	٥٣ - ١٢٣
	ياأيها الذين آمنوا قاتلوا	١٢٣	١٦٣
يونس	قل من يرزقكم من السماء والأرض	٣١	٤٧
هود	قالوا يانوح قد جادلتنا	٣٢	٨٨ - ٨٩
	وما أريد أن أخالفكم إلى	٨٨	١٦٢
يوسف	والله غالب على أمره	٢١	١٤
	قل هذه سبيلي أدعو إلى الله	١٠٨	٣٣
إبراهيم	الر كتاب أنزلناه إليك	١	٢

السورة	رأس الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه	٤	٦٩
	الر كتاب أنزلناه إليك	١ ، ٢	١٢٧
	وإذ تأذن ربكم	٧	٢٧
الحجر	فاصدع بما تؤمر	٩٤	٧٠
النحل	ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً	٣٦	١ – ٤٩
	ادع إلى سبيل ربك	١٢٥	١٢ – ٣٣ – ٨٤
	وإن عاقبتم فعاقبوا	١٢٦	١٠٦
الإسراء	وقضى ربك ألاّ تعبدوا	٢٣	٥٠
	وقرأنا فرقناه لتقرأه على الناس	١٠٦	٤١
مريم	واذكر في الكتاب إسماعيل	٥٤	١٦٣
طه	اذهبا إلى فرعون إنه طغى	٤٣	١١٥
	فقولا له قولاً ليناً	٤٤	٤١ – ٨٤
	قالا ربنا إننا نخاف	٤٤	٦٩
	وكذلك أنزلناه قرآنا عربياً	١١٣	٨٤
	وأمر أهلك بالصلاة	١٣٢	١١٠ – ١٦٣
الأنبياء	وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه		٢٥ – ٤٨
الحج	أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا	٣٩	٩٢
	ولولا دفع الله الناس	٤٠	٩٠
	الذين إن مكناهم في الأرض	٤١	١٣١
الفرقان	وقدمنا إلى ما عملوا من عمل	٢٣	٦٠

السورة	رأس الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	ولا يأتونك بمثل	٣٣	٨٩
الشعراء	وأنذر عشيرتك الأقربين	٢١٤	١٦٢-١٦٣
السجدة	أم يقولون فتراه بل هو الحق	٢	١٢٧
سبأ	وما أرسلناك إلا كافة	٢٨	١٢٦
الأحزاب	ياأيها النبي إنا أرسلناك	٤٥-٤٦	١ - ٢ - ٨٦
	وداعياً إلى الله بإذنه	٤٦	٣٣
يسن	أولم ير الإنسان أنا خلقناه	٧٧-٨٣	٨٩
الزمر	فبشر عباد الذين يستمعون القول	١٨	١٣٨
فصلت	ومن أحسن قولاً	٣٣	٦٩
	ولا تستوي الحسنة ولا السيئة	٣٤	١٠٤
الشورى	ليس كمثله شئ	١١	٤٨
	شرع لكم من الدين	١٣	٥٦
الزخرف	وإذ قال إبراهيم لأبيه	٢٨	٥٢
الأحقاف	ياقومنا أجيبوا داعي الله	٣١	٣٣
الفتح	إنا فتحنا لك	١	٩٥
الحجرات	إنما المؤمنون اخوة	١٠	٦٥
	ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا	١٢	٦٥
	ياأيها الناس إنا خلقناكم	١٣	١١٤
الذاريات	وما خلقت الجن والإنس	٥٦	٤٠-٤٩
الحديد	وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد	٢٥	٧٣

السورة	رأس الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
المجادلة	لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله	٢٢	٥٢
الممتحنة	قد كانت لكم اسوة حسنة	٤	٥١-٥٢
الجمعة	هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم	٢	١٣٠
التحريم	ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم	٦	١١٠ - ١٦٣
الجن	وان المساجد لله	١٨	٤٨
الكافرون	قل ياأيها الكافرون	١	٥٤-٦٩
النصر	إذا جاء نصر الله	١	٣ - ٧٩
الإخلاص	قل هو الله أحد	١	٤٨-٦٩

ثانياً : فهرس الأحاديث والآثار

المسلسل	رأس الحديث	رقم الصفحة
	(أ)	
١	أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم	٨٦
٢	إحفظوهن وأخبروا بهن	٨٠
٣	ارجع إلى قومك فأخبرهم	١٢٤
٤	أصابني في بصري بعض الشئ	٦٢ - ٦٣
٥	اطلقوا ثمامة	١٠٥
٦	أعطيت خمساً لم يعطهن	١٢٦
٧	الآن نعزوهم ولا يغزوننا	٩٤
٨	الإيمان بضعٌ وسبعون	٦٠
٩	أمركم بالإيمان بالله وحده	٥٨
١٠	ان الحمد لله نحمده	٨٥
١١	ان الله بعثني اليكم	٨٥ - ١٤٣
١٢	إنا لم نجئ لقتال	٩٥
١٣	أن النبي صلى الله عليه وسلم غزا	١٤٠
١٤	ان النبي صلى الله عليه وسلم قاتل أهل خيبر	١٠٠
١٥	ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر	٧٦
١٦	ان رجلاً من أسلم	١٤٣

١٧	ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي خيبر	٩٩
١٨	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه إلى كسرى	٧٧
١٩	انطلقوا إلى يهود	٩٨-١٢٨
٢٠	إن فيك خصلتين	٦٦
٢١	انك تأتي قوماً	٨ - ١٤١
٢٢	إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب	٦٣ - ١٣٨
٢٣	إن كان الرجل ليسلم	١٠٣ - ١٣٧
٢٤	إنما نزل أول ما نزل منه	٤٢-١٣٤
٢٥	ان هذا اخترط سيفي	١٠٥
٢٦	اني أعطى رجالاً حديث عهدهم	١٠٣
٢٧	اني لأعطى الرجل وغيره	١٠٣
٢٨	اني اعطى قريشاً اتالفهم	١٠٣
٢٩	ان يهود بني النضير وقريظة	٩٨-٩٩
٣٠	اللهم بين لنا في الخمر	١٤٣
٣١	إياكم والظن فإن الظن	٦٥
٣٢	أي عم قل لا إله الاّ الله	٥٠ - ٧٠
٣٣	أيها الناس إن رسول الله	١٠٠

(ب)

٣٤	بني الإسلام على خمس	٥٩

المسلسل	رأس الحديث	رقم الصفحة
٣٥	بايعت رسول الله	٦٢
٣٦	بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله	٧٦-٧٧
٣٧	بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا موسى ومعاذ	٨١
	(ت)	
٣٨	تعدون انتم الفتح	٩٦
	(خ)	
٣٩	خربت خيبر	٩٩
	(ر)	
٤٠	رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني	١١٨
	(س)	
٤١	سبحان الله	١١٨
٤٢	سيتصدقون ويجاهدون	٥٥
	(ش)	
٤٣	شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٣٠
	(ف)	
٤٤	فأمرنا بصدق الحديث	٦٥
٤٥	فقال فما يأمركم يعني النبي صلى الله عليه وسلم	٦٤ - ٦٥
٤٦	فرضت الصلاة ركعتين	٦٢
٤٧	ففرض الله على أمتي خمسين صلاة	٦١
٤٨	فبأبي هو وأمي	١٤٠

المسلسل	رأس الحديث	رقم الصفحة
٤٩	فقلت اني متبعك	١٢٧
	(ق)	
٥٠	قال ما الإسلام	٥٨
٥١	قال سألت زيد بن أرقم	٧٤
٥٢	قال نعم يبعث الله هذا	٨٩
	(ك)	
٥٣	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه	١١٥
٥٤	كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة	١٣١
٥٥	كنت وأنا في الجاهلية	٥٠ - ٧٠
٥٦	كم غزوت مع رسول الله	٧٤
	(غ)	
٥٧	غزا رسول الله	١٠٢
	(ل)	
٥٨	لا يشكر الله من لا يشكر الناس	٢٧
٥٩	لأبعثن اليكم رجلاً	٨٠
٦٠	لأعطين هذه الراية غداً	٥٤
٦١	لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم	٩٢
٦٢	لما كان يوم حنين آثر النبي	١٠٢-١٢٤
٦٣	لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا	١٠٦ - ١٠٧
٦٤	لو آمن بي عشرة من اليهود	١٢٢

المسلسل	رأس الحديث	رقم الصفحة
٦٥	لا هجرة بعد الفتح	١٢٩
٦٦	ليكن أول ما تدعوهم اليه	١٤٨
	(م)	
٦٧	مثلي ومثل ما بعثني الله	٨٨
	مثلي ومثل ما بعثني الله	٨٨
٦٨	من لكعب بن الأشراف؟	٩١
٦٩	من القوم ؟	١١٦
٧٠	مرحباً بالقوم	١١٦
٧١	ممن أنت ؟	١١٦
٧٢	من محمد رسول الله	١٢٤
	(ن)	
٧٣	نضرّ الله امرءاً	١٣٨
	(و)	
٧٤	والله ليتمن هذا الأمر	٨٧
٧٥	والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة	٩٤
٧٦	وقال نصبر	١٠٦
٧٧	وكانت العرب تلوم باسلامها الفتح	٩٧
٧٨	والله لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٠٢
٧٩	ولو نزل أول شئ	١٣٩

(هـ)

٨٠ هذا فلان ١١٨

(ي)

٨١ ياأيها الناس قولوا لا إله إلا الله ٥١ - ٨٧
٨٢ يسرا ولا تعسرا ٨١

ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع

أ - القرآن الكريم :

(١) القرآن الكريم أنظر فهرس الآيات من الصفحة (١٦٨-١٧٢)

١ - أحكام القرآن لحجة الإسلام الإمام أبو بكر أحدم بن علي الرازي الجصاص تحقيق محمد الصادق قمحاوي ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥ هـ .

٢ - أسباب النزول للواحدي ، أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

٣ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، تأليف محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي ، مكتبة ابن تيمية ، ١٤٠٨ هـ .

٤ - تفسير البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، (ط ٢/١٤٠٣هـ) .

٥ - تفسير التحرير والتنوير ، تأليف سماحة الأستاذ العلامة الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٨٤ م .

٦ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان تأليف العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، حققه وضبطه محمد زهري النجار ،مكتبة الهدي الإسلامي ، الخبر ، مكتبة الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الرياض ، (س١/١٤٠٨ هـ) .

٧ - تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، تأليف محمد رشيد رضا ، دار المعرفة (ط ٢ بدون تاريخ) .

٨ - تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ، لبنان ، ١٤٠٢ هـ .

٩ - التفسير الكبير لإمام العلامة تقي الدين بن تيمية ، تحقيق وتعليق الدكتور / عبد الرحمن عميرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (ط ١/١٤٠٨هـ).

١٠- التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ، دار احياء التراث العربي ، بدون تاريخ.

١١- جامع البيان عن تأوي لأي القرآن ، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري دار الفكر ، ١٤٠٨ هـ .

١٢- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطنبي ، دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ .

١٣- خصائص القرآن الكريم د . فهد بن عبد الرحمن الرومي (ط ٤/١٤٠٩) بدون ذكر الناشر .

١٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر للطباعة ، بدون تاريخ .

١٥- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق (ط ٩/١٤٠٠ هـ) .

١٦- الكشاف عن حقائق عوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل ، للإمام محمود بن عمر الزمخشري ، رتبه وضبطه مصطفى حسين أحمد ، دار الكتاب العربي ، (ط ٣/١٤٠٧ هـ) .

١٧- المفردات في غريب القرآن ، تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

ب - الحديث الشريف :

١٨- جامع الترمذي ، للإمام الترمذي ، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي (ط ١٣٩٥/٢) .

١٩- صحيح البخاري لإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ضبطه ورقمه ، وذكر تكرار مواضعه وشرح الفاظه وجمله وخرج أحاديثه في صحيح مسلم ووضع فهارسه الدكتور / مصطفى ديب البغا ، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع (ط ١٤١٠/٤هـ) .

٢٠- صحيح سنن الترمذي ، تأليف محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر مكتب التربية العربي ، لدول الخليج ، (ط ١٤٠٨/١ هـ) .

٢١- صحيح سنن أبي داوود ، صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني ، النارش مكتب التربية العربي لدول الخليج (ط ١٤٠٩/١ هـ) .

٢٢- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار أحياء التراث العربي ، ١٣٧٤ هـ .

٢٣- صحيح مسلم بشرح النووي ، للإمام النووي ، دار الفكر للطباعة ، بدون تاريخ .

٢٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١١ هـ .

٢٥- الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحدم بن حبنل الشباني ، تأليف أحمد بن عبد الرحمن البنا ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

٢٦- المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .

٢٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، طبعة دار صادر بيروت ، بدون تاريخ .
٢٨- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، مجموعة مؤلفين ، مطبعة بريل في مدينة ليدن ١٩٦٢م .
٢٩- النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي المكتبة العملية بيروت بدون تاريخ .

ج - السيـــــرة النبويـــة :

٣٠- البداية والنهاية ، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، مكتبة المعارف ، بيروت ، بدون تاريخ .
٣١- خاتم النبيين ، تأليف صاحب الفضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة ، المكتبة القصرية ، صيداء ، بيروت ، بدون تاريخ .
٣٢- الرحيق المختوم ، صفي الدين المباركفوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (ط ١/١٤٠٥ هـ) .
٣٣- زاد المعاد في هدي خير العباد ، لإبن قيم الجوزية ، حقق نصوصه وخرج أحاديثه ، وعلق عليه ، شعيب الأرنؤوط ، عبد القار الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، (ط ٤/١٤٠٧ هـ) .
٣٤- السيرة النبوية للإمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ .
٣٥- السيرة النبوية لابن هشام أبي محمد عبد الملك بن هاشم المعافري ، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٥م .

٣٦- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، الدكتور محمد محمد أبو شهبه ، دار القلم ، دمشق ، (ط ١٤٢/٢ هـ) .
٣٧- فقه السيرة النبوية ، محمد سعيد البوطي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، (ط ١٤١١/١٠ هـ) .
٣٨- المنهج الحركي للسيرة النبوية ، منير محمد الغضبان ، مكتبة المنار ، بدون تاريخ (ط ١٤٠٦/٢هـ) .

د - الدعـــوة الإسلاميـــة

٣٩- أسباب نجاح الدعوة الإسلامية ، عبد الله بن محمد آل موسى ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الرياض ، (ط ١٤٠٥/١ هـ) .
٤٠- اسس الدعوة في سورة إبراهيم عليه السلام ، بحث مكمل لدرجة الماجستير في الدعوة ، مقدم لكلية الدعوة والإعلام بالرياض ، كتبه الباحث مسفر البواردي غير مطبوع .
٤١- أصول الدعوة تأليف الدكتور / عبد الكريم زيدان ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة (ط ١٤١٢/٥ هـ) .
٤٢- التدرج بين التشريع والدعوة ، د / يوسف محيي الدين أبو هلاله ، دار العاصمة ، المملكة العربية السعودية ، (ط ١٤١٢/١هـ) .
٤٣- الحكمة في الدعوة إلى الله ، تعريف وتطبيق ، تأليف د / زيد بن عبد الكريم الزيد ، دار العاصمة ، المملكة العربية السعودية ، (ط ١٤١٢/١ هـ) .
٤٤- الدعوة إلى الإسلام مضامينها وميادينها ، عبد الكريم الخطيب ، الناشر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان (ط ١٤٠٢/١ هـ) .
٤٥ - الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل ، تأليف محمد بن سيدي بن

الحبيب ، دار الوفاء ، جده ، (ط ١/١٤٠٦ هـ) .
٤٦- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، دكتور/ أحمد أحمد غلوش ، دار الكتب الإسلامية ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيبروت (ط٢/١٤٠٧ هـ) .
٤٧- الدعوة إلى الله فقهاً ومنهجاً ، تأليف محمد زكي الدين محمد قاسم ، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع ، (ط ١/١٤١١هـ) .
٤٨ -الدعوة الإسلامية - الوسائل - الخطط - المداخل - أبحثا ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، المنعقد بنيروبي بكنيا ، تاريخ ٢٦ جماد الثانية ، إلى أو رجب ، ١٤٠٢ هـ ، الندوة العلمية للشباب الإسلامي ، (ط ١/١٤٠٥ هـ) .
٤٩ -الدعوة إلى الله - الرسالة - الوسيلة - الهدف ، تأليف الدكتور / توفيق يوسف الواعي ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، (ط ١/١٤٠٦ هـ) .
٥٠- الدعوة إلى الله - خصائصها - مقوماتها - مفاهيمها ، د/ أبو المجد السيد نوفل .
٥١- الدعوة إلى الله على بصيرة ، د/ عبد المنعم محمد حسنين .
٥٢- المدخل إلى علم الدعوة ، تأليف محمد أبو الفتح البيانوني ، مؤسسة الرسالة، (ط ١/١٤١٢هـ) .
٥٣- فصول في الدعوة الإسلامية ، الدكتور/ حسن عيسى عبد الظاهر ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، قطر ، الدوحة (ط ١/١٤٠٦ هـ) .
٥٤- فقه الدعوة إلى الله ، الدكتور/ علي عبد الحليم محمود ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، (ط ١/١٤١٠ هـ) .
٥٥- المرأة المسلمة المعاصرة ، د/ أحمد محمد أبا بطين ، دار عالم الكتب للنشر

والتوزيع ، (ط ١٤١٢/٢ هـ) .
٥٦- مرشد الدعاة ، تأليف الشيخ محمد نمر الخطيب ، دار المعرفة للطباعة والنشر (ط ١٤٠١/١ هـ) .
٥٧- مع الله ، دراسات في الدعوة والدعاة ، محمد الغزالي ، نشر وتوزيع دار الثقافة ، الدوحة ، ١٤٠٥ هـ .
٥٨- معالم الدعوة الإسلامية في عهدها ، المدني ، د. خليفه عسال .
٥٩- منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية ، علي بن جابر الحربي ، الزهراء للإعلام العربي ، (ط ١٤٠٩/١ هـ) .
٦٠- وقفات دعوية في رحلة سفير الدعوة الأول مصعب بن عمير إلى المدينة ، تأليف د/ زيد بن عبد الكريم الزيد ، دار العاصمة ، (ط ١٤١٢/١ هـ) .

هـ - المراجع العامة :

٦١- الأسلوب (دارسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية) أحمد الشايب ، الناشر مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، (ـ ط ١٣٩٦/٧ هـ) .
٦٢- أضواء على الاعلام في صدر الإسلام ، د/ محمد عجاج الخطيب ، مؤسسة الرسالة ، (ط ١٤٠٥/١ هـ) .
٦٣- تعدد الزوجات من النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية ، د/ عبد الناصر توفيق العطار ، دار الشروق ، جدة ، (ط ١٣٩٧/٤ هـ) .
٦٤- التلازم بين العقيدة والشريعة ، الدكتور/ ناصر بن عبد الكريم ، العقل ، دار الوطن للنشر ، (ط ١٤١٢/١ هـ) .
٦٥- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، تأليف الشيخ / سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، المكتب الإسلامي ، (ط ١٤٠٥/٦ هـ) .

٦٦- الحرب النفسية في صدر الإسلام ، تأليف الدكتور / محمد بن مخلف بن صالح المخلف ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، (ط ١٤١٣/١ هـ) .
٦٧- الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، العاصمي القطاني النجدي ، دار العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، (ط ١٤٠٢/٢ هـ) .
٦٨- دستور الأخلاق في القرآن ، دارسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن ، دكتور / محمد عبد الله دراز ، تعريب تحقيق وتعليق دكتور/ عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (ط ١٤٠٢/٤ هـ) .
٦٩- ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام ، بحث غير مطبوع ، كتبة فضيلة الدكتور/ سيد محمد ساداتي الشنقيطي .
٧٠- زوجات النبي صلى الله عليه وسلم الطاهرات وحكمة تعددهن ، الشيخ / محمد محمود الصواف .
٧١- سيكلوجية القصة في القرآن ، التهامي نقرة ، الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧١م .
٧٢- الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، (ط ١٣٣٩/٢ هـ) .
٧٣- الصواعق المرسلة عن الجهمية والمعطلة ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض ، النشرة الأولي ، ١٤٠٨ هـ.
٧٤- الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات ، تأليف فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، جمع وترتيب أنس علي أبو اللوز .
٧٥- العلاقات العامة والاعلام في الإسلام ، د/ محمد يوسف مصطفى ، مكتبة مصباح ، جدة ، (ط ١٤٠٩/١ هـ) .

٧٦- الفضائل الخلقية في الإسلام ، دكتور/ أحمد عبد الرحمن إبراهيم ، دار الطباعة والنشر ، الرياض ، (ط ١/١٤٠٢ هـ) .
٧٧- فقه الدعوة ، ملامح وآفاق ، عمر عبيد حسنه ، مركز البحوث ، والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر ، (ط ١/١٤٠٨ هـ).
٧٨- القول السديد في شرح كتاب التوحيد ، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي .
٧٩- القاموس المحيط ، تأليف مجد الدين محمد بن يعوقب الفيروز آبادي ، دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ .
٨٠- لسان العرب للعلامة ابن منظور ، دار لسان العرب ، بيروت ، بدون تاريخ .
٨١- مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، صنفها وأعدها د/ عبد العزيز رید الرومي ، د/ محمد بتاجي ، د/ سيد حاب ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٣٩٨ هـ .
٨٢- مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية قدس الله روحه ، جمع وترتي عبد الرحمن بن محدم القاسم ، مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب ، بدون تاريخ .
٨٣- المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، دكتور/ عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، (ط ١١/١٤١١هـ) .
٨٤- مصرع الشرك والخرافة ، الشيخ خالد محمد علي الحاج .
٨٥- معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٩ هـ .
٨٦- المعجم الوسيط ، إخراج الدكتور إبراهيم أنيس وآخرون ، دار ، الفكر بدون

تاريخ .
٨٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، (ط ١٤٠٨/٢ هـ) .
٨٨- معالم الشريعة الإسلامية ، الدكتور صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، (ط ١٩٨٢/٤م) .
٨٩- مفتاح كنوز في ظلال القرآن ، وضع وترتيب محمد يوسف عباس ، دار طيبة للنشر والتوزيع (ط ١٤٠٧/١ هـ) .
٩٠- منهج القرآن في تربية المجتمع ، د/ عبد الفتاح عاشور ، دار الجيل للطباعة ، (ط ١٣٩٩/١ هـ) .
٩١- الموسوعة الفقهية ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الكويت (ط١٤١٠/٢ هـ) .
٩٢- الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود ، (ط ١٤٠٧/١ هـ) .
٩٣- وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية ، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية ، المجلس العلمي ، أشرف على طباعته ونشره دار الثقافة والنشر بالجامعة ١٤٠٤ هـ .
٩٤- وظيفة الأخبار في سورة الأنعام ، الدكتور/ سيد محمد ساداتي الشنقيطي ، دار عالم الكتب ، (ط ١٤١٢/٣ هـ) .

رابعاً : فهرس الموضوعات

مسلسل	الموضـــــوع	الصفحة
١	المقدمة	١
٢	أهداف البحث	٣
٣	أهمية البحث وأسباب إختياره	٤
٤	إستدلال على مشكلة البحث	٦
٥	مكانة البحث من الدراسات الدعوية السابقة	١٥
٦	تحديد المشكلة البحث وصياغتها	٢١
٧	تساؤلات البحث	٢١
٨	نوع البحث ومنهجه	٢٢
٩	حدود البحث	٢٣
١٠	أدوات جمع مادته العلمية	٢٣
١١	خطة الدراسة	٢٤
١٢	شكر وتقدير	٢٧
١٣	التعريف بمصطلحات البحث	٢٩
١٤	التدرج لغة	٢٩
١٥	التدرج في الإصطلاح	٣٢
١٦	الدعوة لغة	٣٢
١٧	الدعوة في الاصطلاح	٣٣
١٨	الموضوع	٣٦

مسلسل	الموضـــــوع	الصفحة
١٩	الوسيلة والأسلوب والفرق بينهما	٣٧
٢٠	الوسيلة في اللغة	٣٧
٢١	الوسيلة في الاصطلاح	٣٨
٢٢	الأسلوب في اللغة	٣٨
٢٣	الأسلوب في الاصطلاح	٣٩
٢٤	الفرق بين الوسيلة والأسلوب	٤٠
٢٥	المدعو	٤٠
٢٦	أنواع التدرج	٤١
٢٧	**الفصل الأول** : التدرج في الدعوة باعتبار الموضوع	
٢٨	– **تمهيـــــد**	٤٥
٢٩	**المبحث الأول** : التوحيد	٤٦
٣٠	**أولا** : مفهوم التوحيد	٤٦
٣١	**ثانيا** : أهمية البدء بالتوحيد	٤٩
٣٢	**المبحث الثاني** : الشريعة	٥٦
	أولا : مفهوم الشريعة	٥٦
	ثانيا : صلة الشريعة بالتوحيد	٥٨
	ثالثا : التدرج في الدعوة إلى الشريعة	٦١
٣٣	**الفصل الثاني** : التدرج في الدعوة باعتبار الوسيلة	٦٧
٣٤	– **تمهيـــــد**	٦٨
٣٥	**المبحث الأول** : القـــول	٦٩

مسلسل	الموضـــــوع	الصفحة
٣٦	**المبحث الثاني** : السرايا والغزوات	٧٣
٣٧	**المبحث الثالث** : الكتب والرسائل	٧٦
٣٨	**المبحث الرابع** : الوفود والبعوث	٧٩
	أولاً : الوفود	٧٩
	ثانياً : البعوث	٨٠
٣٩	**الفصل الثالث** : التدرج في الدعوة باعتبار الأسلوب	٨٢
٤٠	**تمهيـــد**	٨٣
٤١	**المبحث الأول** : أسلوب العرض	٨٤
٤٢	**المبحث الثاني** : أسلوب الحماية	٩٠
٤٣	**المبحث الثالث** : أسلوب الإلزام	٩٤
٤٤	**أولا** : إلزام المشركين	٩٤
٤٥	**ثانيا** : إلزام اليهود	٩٨
٤٦	**المبحث الرابع** : أسلوب التأليف	١٠١
٤٧	**الفصل الرابع** : التدرج في الدعوة باعتبار المدعو	١٠٨
٤٨	– **تمهيـــد**	١٠٩
٤٩	**المبحث الأول** : البدء بالأقربين	١١٠
٥٠	**المبحث الثاني** : التعرف على المدعوين	١١٤
٥١	**المبحث الثالث** : العناية بذوي المكانة	١١٩
٥٢	**المبحث الرابع** : عرض الدعوة على عموم المدعوين	١٢٦
٥٣	**أولا** : دعوة غير المسلمين	١٢٧

مسلسل	الموضـــــوع	الصفحة
٥٤	**ثانيا** : دعوة المسلمين	١٢٩
٥٥	**الفصل الخامس** :الحكمة من التدرج في الدعوة	١٣٣
٥٦	- **تمهيـــد**	١٣٤
٥٧	**المبحث الأول** : تهيئة النفوس للسماع	١٣٥
٥٨	**المبحث الثاني** : قبول النفوس للحق	١٣٨
٥٩	**المبحث الثالث** : ترسيخ الإسلام في النفوس	١٤٢
٦٠	**الفصل السادس** : التدرج في الدعوة في العصر الحاضر	١٤٥
٦١	- **تمهيـــد** :	١٤٦
٦٢	**المبحث الأول** : التدرج في الدعوة إلى الموضوع	١٤٧
٦٣	**أولا** : أهمية البدء بالتوحيد	١٤٧
٦٤	**ثانيا** : التدرج في إلى الشريعة	١٥٠
٦٥	**المبحث الثاني** : التدرج في الدعوة باعتبار الوسيلة والأسلوب	١٥٨
٦٦	**المبحث الثالث** : التدرج في الدعوة باعتبار المدعو	١٦٢
٦٧	الخاتمـــة	١٦٥
٦٨	فهرس الآيات القرآنية	١٦٨
٦٩	فهرس الأحاديث والآثار	١٧٣
٧٠	فهرس المصادر والمراجع	١٧٩
٧١	فهرس الموضوعات	١٨٩